العنوان:	الرحلات بين المغرب والمشرق العربيين : رحلة نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار لمؤلفها الحسين بن محمد الورثيلاني (1125هـ / 1193هـ) أنموذجاً
المصدر:	حوليات آداب عين شمس - مصر
المؤلف الرئيسي:	أحمد، محمد صالح بن حامد سيد
المجلد/العدد:	مج 32
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2004
الشهر:	سبتمبر
الصفحات:	83 - 134
رقم MD:	140647
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	AraBase
مواضيع:	كتاب رحلة نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار ، المغرب العربي، المشرق العربي، العلماء المغاربة، الورثيلاني ، الحسين بن محمد ، ت 1193هـ، الرحلات، الدعوة الاسلامية، الشريعة الاسلامية، الفقه الاسلامي، العلماء المسلمون، التاريخ الاسلامي، الحجاز، الحج، أدب الرحلات
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/140647

الرحلات بين المغرب والمشرق العربيين
"رحلة نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار"
لمؤلفها الحسين بن محمد الورثيلاني
(١١٢٥هـ/١١٩٣هـ) أنموذجاً

د/ محمد صالح بن حامد سيد أحمد*

ملخص

لـم تخـتلف دوافع الرحالة المغاربة منذ بداية الرحلات المغاربية إلى الشرق بقصـد طلب العلم والأخذ من الينابيع الأولى والعلماء المشهورين، والحج والعودة لنشـر الدين وتعليمه في البلاد الأفريقية، فإننا نلاحظ أن أغلب الرحالة المشهورين كانـوا علماء وفقهاء تمكنوا من التدريس في الحرمين الشريفين بعد أن تمكنوا من المجـاورة لـبعض الـوقت أو لفتـرة طويلة ناهيك عن اهتمامهم بنقل المصادر والاسـتفادة منها بالاطلاع عليها ونسخها أو عن طريق الشراء حينما كان سلاطين الدولـة العلوية ومن قبلهم سلاطين الدولة السعدية يرسلون الرسل لشراء الكتب من مصر مثلما فعل السلطان أحمد المنصور السعدي الذي أجرى اتصالات مع مختلف جهـات العالم في سبيل إغناء مكتبته فاتصل بعلماء مصر والدولة العثمانية بتركيا، وبالعلمـاء بالحرمين الشريفين، وكذلك الحال بالنسبة لسلاطين الدولة العلوية الذين اهتموا بجمع الكتب والمصادر من بلاد المشرق سواء من مصر أو الحجاز. كذلك نلاحـظ أن مـن دوافـع الرحالة المغاربة؛ تسجيل المعارف الضرورية للحاج من أوصـاف المسالك وتعداد المراحل وأسماء البلدان وذكر آبار المياه في الطريق إلى الحج. وعلى ما يبدو أن مهمة ضبط هذه المسالك وأسماء المدن والأماكن ومصادر المـياه كانـت تـبعة يحملهـا جيل بعد جيل من الرحالة ويدلنا على ذلك ما ذكره العياشـي بعـد أن اطلع على رحلة ابن رشيد السبتي بعد عصر ابن رشيد بحوالي أربعة قرون. لذا فإني سأعرض لأدب الرحلة عند المغاربة ثم للمشهور من الرحالة والرحلات وبعدها تأتي دراسة مستفيضة عن رحلة الحسين بن محمد الورثيلاني- الجزائـري- "نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار" الذي حققها محمد بن أبـي شـنب وطبعها في الجزائر في مطبعة بير فونتانا الشرقية سنة ١٩٠٨م كما ستتعرض الدراسة لأسلوب المؤلف ومصادره ومنهجه.

* أستاذ مساعد بكلية الآداب، جامعة الملك عبد العزيز - جدة.

Journeys from the East to the West of the Arab World: The Rehlah (Journey) by Al-Warthilani as an example

Abstract

This paper investigates Maghribi (Northwest African) rehlat (journeys) to the eastern end of the Arab World and shows that these travels were undertaken for such purposes as the performance of hajj (pilgrimage to Makkah), the pursuit of theological knowledge, and the dissemination of faith upon return home. The journeys were also meant to describe caravan routes to Hijaz. Moreover, the pilgrims described whatever they saw in Hijaz, particularly important Islamic and historical places such as mosques and mountains with an Islamic significance. The kind of literature associated with the journeys also records preparations that were made as well as the travellers' feelings and *khawatir* (thoughts) and descriptions of social life. Of the Maghribi rehlat known to have taken place, the present study concentrates on the journey by al-Warthilani, *Nuzhat al-anzar fi fadl 'ilm al-tarikh was al-akhbar.*

اهتمام العلماء المغاربة بتدوين خواطرهم إبّان رحلاتهم إلى الحجاز:

مقدمة:

اهـتم العلمـاء المغاربـة اهتماما كبيراً بتدوين خواطرهم إبان رحلاتهم إلى الحجـاز للحـج والزيارة لمحبتهم لهذه الأماكن المقدسة؛ لما تحتله من مكانة دينية سامية فى قلوب المسلمين وفيها يتم الركن الخامس وهو فريضة الحج. وهو الدافع الحقيقـى والأقوى لارتباط هذه الفريضة بالمعنى العميق للدين الإسلامى الذى كان ومـا يـزال هو الرابطة القوية التى تربط بين أطراف العالم الإسلامى فى فترات قوته السياسية أو ضعفه على حد سواء. وتمثل تلك الرحلات معلما بارزاً فى تاريخ أدب الرحلات لدى علماء المغاربة.

وفـى محاولـة لرصـد أثر تلك الرحلات المتعاقبة على الحجاز منذ انطلاق أولـئك الرحالة المغاربة للقدوم إلى الحجاز يمكن اعتبار أبى الفقيه أبى بكر محمد بـن العربـى مـن فقهاء الأندلس (٤٦٨-٥٤٣) هـ هو رائد الرحالة المغاربة فى الـرحلة الحجازيـة، وكـتابه المعنون باسم "الرحلة أو ترتيب الرحلة" الذى ضمنه رحلـته إلى المشرق وإن حفظ بعضها فيما نقله كل من ابن خلدون والمقرى، كما يمكن القول أن الرحالة ابن جبير هو النموذج الراقى لهذا الفن.

وقد كثرت رحلات المغاربة إلى الأراضى المقدسة فى الحجاز وتعددت مؤلفاتهم فـيها فى كتب خاصة بذكر شيوخهم وتراجمهم والكتب التى درسوها، أى أن منها ما يكون رحلة فهرسية مثل رحلة ابن رشيد السبتى الفهرى المسماة "ملء العيبة بما جمع فى طول الغيبة فى الوجهة الوجيهة مكة وطيبة" أو كتب وصفية مثل رحلة العبدرى، وفـى كـتب الـرحلات التى صنفها مؤلفوها فى ذكر شيوخهم ومؤلفاتهم فإن تسمية الـرحلة فـيها ومفهـومها يختلف عما عرفناه بالنسبة للرحالة الذين ذكرناهم، فهنا الرحلة مرادفة للفظة فهرسة وبرنامج، ومن أمثلتها رحلة ابن رشيد السبتى المذكورة والتـى تعتبر من أقدم ما صنف فى هذا المجال، حيث أنها من النوع الكامل فى هذا الموضوع وربما سبقتها محاولات للتأليف فى القرنين الخامس والسادس الهجريين.[١]

وهـذا الـنوع مـن تأليف الرحلة لقى صدى لدى الرحالة المغاربة فوضعوا مـؤلفات عديـدة علـى نسـق مؤلـف ابن رشيد ومنها رحلة أبى القاسم التجيبى (ت٧٣٠هـ وكـان سـفرة سـنة ٦٩٦هــ) وقد ذكرها ابن حجر بقوله "وهى ثلاثة

مجلدات ضخمة وقد حذا فيها حذو ابن رشيد بتضمين رحلته "مشيخة له مستوعبة". وقد ضمن التجيبى رحلته ذكر المشايخ الذين لقيهم فى المغرب والأندلس والمشرق، ومـؤلفاتهم ومن شيوخه أبو القاسم بن الشاط، وابن دقيق العيد، وأبو القاسم اللبيدى وغيرهم ممن تضمنتهم رحلته.

ومـن الأمـثلة كذلك رحلة البلوى وهو القاضى أبو البقاء خالد بن عيسى بن أحمـد بـن إبـراهيم بن خالد البلوى، وذكر ابن فرحون أنه اطلع على رحلته هذه المسـماة "تـاج المفرق فى تحلية علماء المشرق" ونقل من تراجمها، وتاريخ رحلة الـبلوى هو ٧٣٢هـ الموافق ١٣٣١م وقد انتهى من تأليف هذا الذى ضمنه شيوخه الذين لقيهم فى تونس والإسكندرية والقاهرة وبيت المقدس والحجاز فى سنة ٧٦٧هـ الموافق ١٣٦٥م.

ونلاحظ أن هناك تسلسلاً تاريخياً فى كتابات الرحالة المغاربة وأخذهم الواحد تلو الآخر من بعضهم البعض واستفادتهم من المراجع والمصادر التى يستخدمونها فـى المشرق، فمثلا نلاحظ ابتداء من رحلة ابن رشيد السبتى كيف استفاد منها أبو سـالم العياشـى ثم الذى تلاه من الرحالة المغاربة أمثال الحسين الورثيلانى وكيف اقتبسـوا منه، كما أن الرحالة أخذوا يهتمون بتدوين الغرض الرئيس للرحالة وهو توصـيف المعـارف الضـرورية للحاج القادم إلى جزيرة العرب برصد الطريق ومعالمـه، وتعداد المراحل، وأسماء الجبال والوديات والبلدان وذكر آبار المياه فى الطريق كدليل سياحى إلى مدن الحجاز سواء كان طريق الحج المصرى، أو طريق الحـج الشـامى أو العراقـى أو اليمنى، إضافة إلى ذكر أماكن المواقيت والأحكام الفقهـية الـواردة عن الرسول صلى الله عليه وسلم. بالإضافة إلى اهتمام الرحالة بتسـجيل مجـالس العلماء المتمثلة فى الحلقات الدراسية فقد اهتموا أيضاً بوصف الطرق التى يسلكها الحاج فى طريقه إلى الأراضى المقدسة وخاصة الطرق البرية مـع ضرورة التركيز على أماكن وجود الماء، وهو أمر حيوى لعابرى الصحراء فى طريقهم لأداء فريضة الحج.

ولهذا نجد الرحلات المغربية إلى الحجاز تعنى بهذه الناحية، فنجد رحالة شهير من رحالة القرن الحادى عشر الهجرى وهو العياشى (أبو سالم عبد الله بن محمد بن أبى بكر العياشى) المغربى (١٠٣٧-١٠٩٠)هـ ورحلته (مائدة الموائد) [٢]. يوضح

الأسـباب التـي دفعته لتسجيل رحلته، ومن أهمها المعارف الضرورية للحاج من "أوصاف المسالك وتعداد المراحل وأسماء البلدان وذكر آبار المياه فى الطريق".

ويـبدو أن مهمة ضبط هذه المسالك وأسماء المدن وأماكن مصادر المياه كان تـبعة يحملها جيل بعد جيل من الرحالة، ويدلنا على ذلك ما ذكره العياشى بعد أن اطلـع علـى رحلة ابن رشيد السبتى بعد عصر ابن الرشيد بحوالى أربعة قرون، فإلـى جانب إعجابه الشديد بمؤلف ابن رشيد والذى اعتبره من الكتب الفريدة، فإنه اهـتم بضبط الأماكن وآبار المياه التى أشار إليها ابن رشيد، لذا فقد كان هذا النوع مـن الرحلات الدينية يشكل تراثاً يجب الاهتمام به للوقوف على أحوال الحجاز من النواحى الاجتماعية والاقتصادية والدينية والثقافية فى الفترات التاريخية المتعاقبة.

والرحالة أبو سالم العياشى الذى قام برحلته فى القرن الحادى عشر الهجرى/ السـابع عشر ميلادى، يعتبر من أشهر الرحالة المغاربة فقد اهتم بالكتابة المتعمقة عن الحجاز فى تلك الفترة، حيث كانت رحلته قد تحدثت عن منازل الحج ومشاعره المقدسـة، وتضـم بعـض النصـوص الفقهـية والأدبية والمقطوعات الشعرية، والصـفحات التاريخـية، ولمحـات عـن عوائد الناس الاجتماعية وأحوال البلدان والمعالم الجغرافية والمعاملات التجارية وتراجم العلماء.

وممـا تجـدر الإشارة إليه أن رحلة العياشى أصبحت مثالاً يقتدى وأنموذجاً يحـتذى، فقـد اعتمد كثير من الرحالة ممن جاءوا بعده على ما كتبه لتدوين أخبار رحلاتهم. وقد انفردت مجموعة من الرحالة المغاربة الذين قصدوا الحجاز من بعده مـثل تلميذه، أحمد بن محمد بن ناصر الدرعى الذى وصف بشيخ وإمام المرتحلين فـى زمانـه ورحلته المسماة "الرحلة الناصرية" حيث أن محتويات رحلة الدرعى وعناوينها مطابقة لما جاء فى رحلة العياشى (٣).

ويـرى بعض الدارسين أن العياشى يعد من ألمع الشخصيات العلمية فى ميدان العلاقـات العلمية والصوفية بين المغرب الأقصى والمشرق الإسلامى، فقد حج ثلاث مـرات فـى عام ١٠٥٩هـ وفى عام ١٠٦٤هـ وفى عام ١٠٧٢هـ بقى فى هذه المرة الأخيـرة فى المشرق عامين بحيث لم يعد إلى المغرب إلا فى عام ١٠٧٤هـ. ورحلة "مائـدة المـوائد" هى التى وصف فيها العياشى المراحل التى مر بها ركب الحجيج المغاربـى مع الاعتناء الشديد بالحياة الصوفية والعلمية فى هذه المراحل وخصوصاً

ليبيا ومصر والقدس والحرمين المكى والمدنى (الحجاز) وهى من هذا الجانب تعد من أوثق المصادر عن الجوانب التاريخية التى تعرضت لها؛ فصاحبها من كبار فقهاء ومتصوفى المغرب فى القرن الحادى عشر الهجرى، ومن هنا تأتى قيمتها مضموناً وتوثيقاً فهى غنية بالمعلومات التى تكاد تنفرد بها عن غيرها ولذلك كان اعتماد القادرى عليها حيث أدرك هذه الأهمية فى كتابه التقاط الدرر ومستفاد المواعظ والعبر من أخبار المائة الحادية والثانية عشرة- وفى الاعتماد عليها فى جمع مادته التاريخية أو الاستدلال بها فى تصنيف مؤلفاته وتزكية أسماء المواقع والأماكن بالرجوع إلى المعاجم الجغرافية واللغوية التى كانت بدورها تحددها على أساس كتب المسالك والممالك مثل كتاب الحميرى "الروض المعطار فى خبر الأقطار" وهو معجم جغرافى تاريخى مرتب على حروف المعجم حسب ترتيبها المشرقى (٤).

ويعد أحمد بن ناصر الدرعى (ت١١٢٩هـ) من كبار مؤلفى الرحلات الحجازية من المغاربة، فهو فقيه مغربى متصوف وشيخ للزاوية الناصرية بدرعة فى الجنوب الشرقى من المغرب، وقد ألف رحلته المعروفة على نسق رحلة أبى سالم العياشى وقد ضمنها وصفاً رائعاً ودقيقاً لمراحل رحلته إلى الحجاز ذهاباً وإياباً فى عام ١١٢١هـ وضمنها معلومات دينية واجتماعية وأدبية وجغرافية مما جعلها لا تقل أهمية عن رحلة العياشى. وأبو سالم كتب رحلته عام ١٠٧٤هـ وأما ابن ناصر الدرعى فكتبها فى عام ١١٢٢هـ، وهى تغطى مرحلة ما بعد العياشى فتعد بالنسبة للقادرى أيضاً من المصادر الأصلية له حيث تقدم له معلومات صادقة ودقيقة، وعليها اعتمد فى تاريخ بعض وفيات المرحلة التى امتدت بين (١٠٧٤-١١٢٢هـ) (٥). وإذا علمنا أن مجهود أحمد بن ناصر الدرعى ليس فقط فى اتخاذ نهج العياشى فى أسلوب رحلته إلا أنه أكمل كتابة الفترة التى شاهدها ووصفها حينما قام بنفسه بتغطية الفترة حتى سنة ١١٢٢هـ.

ويبدو أن رحلة مائدة الموائد لم تكن مشهورة فى المغرب فحسب بل كانت كذلك بالنسبة لكل رحالة تونس والجزائر أيضاً حيث أشار إليها الرحالة الجزائرى الحسين بن محمد الورثيلانى ورحلته المعروفة "نزهة الأنظار فى فضل علم التاريخ والأخبار" (٦).

وقد حج الورثيلانى ثلاث مرات على الأقل، الأولى كانت سنة ١١٥٣هـ، والثانية سنة ١١٦٦هـ والثالثة سنة ١١٧٩هـ ويبدو أنه كان يجمع أخبار الحجاز فى كل مرة غير أن الحجة الأخيرة هى التى حملته على كتابة رحلته المذكورة، وفى الحجات الثلاث أيضاً كان يتوقف فى المدن وزوايا وطنه، ويزور ويأخذ الطريقة والعلم على مشائخها وعلمائها كما فعل نفس الشيء فى تونس ومصر والحجاز، وقد سجل ذلك فى رحلته [٧]. وسنتعرض لدراسة الرحلة بالتفصيل. ولم يكتب الورثيلانى رحلته بيده، ولكنه أملاها إملاءً على تلاميذه كما جرت عادة المشائخ عندئذ ولذلك تعددت نسخها وكثر فيها الخطأ كما افتقرت إلى المنهج القويم وامتلأت بالاستطرادات والتكرار.

واعتمد الورثيلانى فى رحلته على مصادر كثيرة، بعضها يتعلق بالجزائر والمغرب العربى عموماً، وبعضها يتعلق بالمشرق، ولا سيما الجزيرة العربية، ومما يهمنا من مصادر بعد المشاهدة الشخصية؛ رحلة العياشى، ورحلة الدرعى، والسمهودى، والمقريزى، وابن فرحون، والبكرى، والعبدرى، والسيوطى، وابن رشيد. وكان الورثيلانى كثيراً ما يعتمد على هذه المصادر، حتى أنه كان ينقل منها حرفياً نقلاً، تارةً منسوباً إلى صاحبه وتارةً غير منسوب، وأكثر ما يكون ذلك فى وصف الجبال فى الجزيرة العربية ووديانها وطرقها ومدنها وآثارها وعادات أهلها وآبارها ومياهها ومساجدها وأخبارها.

والظاهر أن الورثيلانى كان مهتما بالمذاهب والملل، فهو رجل مالكى المذهب حسنى النسب- حسب دعواه- طرقى السلوك، كان لا ينفك يبحث عن الأنساب ورجال الإصلاح وأصحاب الكرامات والولايات وكان ذلك واضحا من حديثه عن هؤلاء، فى بلاده وفى مصر وطرابلس والحجاز وغيرها، وكان ينقل الكثير من ذلك عن المصادر التى أشرنا إليها، وعندما مر هو ببدر قال عنها "وقد توطنها الأشراف ونزلوا بها من قديم الزمان وفيها أهل السنة، وكذا الزيدية أعنى الخوارج الظاهرية وهم فى الاعتقاد قدرية ... " [٨]

ولم تختلف دوافع الرحالة المغاربة منذ بداية الرحلات المغاربية إلى الشرق بقصد طلب العلم والأخذ من الينابيع الأولى والعلماء المشهورين، والحج والعودة لنشر الدين وتعلمه فى البلاد الأفريقية، فإننا نلاحظ أن أغلب الرحالة المشهورين

كانـــوا علمـــاء وفقهاء قام بعضهم بالتدريس فى الحرمين الشريفين بعد أن تمكنوا من المجاورة لبعض الوقت أو لفترة طويلة فضلا عن اهتمامهم بنقل المصادر والاستفادة منها بالاطلاع عليها ونسخها أو عن طريق الشراء حينما كان سلاطين الدولة العلوية ومـــن قبلهم سلاطين الدولة السعدية يرسلون الرسل بالأموال لشراء الكتب من مصر مـــثلاً مـــثلما فعل السلطان أحمد المنصور السعدى الذى أجرى اتصالات مع مختلف جهـــات العـــالم فى سبيل إغناء مكتبته، فاتصل بعلماء مصر وعلماء الدولة العثمانية بتـــركيا، وبالعلمـــاء والأمراء بالحرمين الشريفين، وجاء فى إحدى الرسائل السعدية التـــى حققها الأستاذ عبد الله كنون أن رجالاً من البلاط السعدى كانوا يذهبون بانتظام إلـــى المشـــرق وفـــى رواحلهم صناديق مملوءة ذهباً ليعودوا بها مملوءة كتباً، ومن الجانـــب الآخر فإن عدداً من شيوخ الزوايا كانوا يغتنمون فرص وجودهم فى البلدان العـــربية الإســـلامية التى يقطعونها فى طريقهم إلى الحج فيشترون من الكتب ما هو متوقع أن يطلبه الطلبة الذين يرحلون إلى الزوايا من أجل العلم.

ويحدثـــنا الناصرى فى المزايا أن الشيخ أبا العباس ابن ناصر اشترى لخزانة الزاوية كتباً بالأحمال من المشرق والمغرب، ولما عثر على كتب بمصر سيحتاجها طلبة الزاوية استلف آلافاً من المثاقيل واشترى بها كتباً [٩].

وبالرغم من أن رحلة ابن عمار لا تأخذ بأسلوب رحلة العياشى إلا أنها لا تقل أهمية منها وتعتبر رحلة ابن عمار الجزائرى وهو مفتى المالكية فى وقته من أشهر الرحلات التى قام صاحبها بها بعد أن جاور مكة المكرمة مدة طويلة، حيث أن ابن عمار قد حج سنة ١١٦٦هـ وبقى فى مكة حتى سنة ١١٧٢هـ.

وهـــذه الإقامة الطويلة قد جعلته يتعرف على أمور كثيرة فيها لا يهتدى إليها عامـــة الحجـــاج، وقد كان ابن عمار شاعراً حتى اشتهر بين معاصريه بأنه محيى طريقة الفتح بن خاقان ولسان الدين ابن الخطيب، وكان مفتياً صاحب رأى واجتهاد فى الدين والاجتماع، و له مؤلفات من أهمها "لواء النصر فى فضلاء العصر" الذى تـــرجم فيه كما أخبر بنفسه لعلماء القرن الحادى عشر وأوائل الثانى عشر للهجرة، ولكـــن ابـــن عمار اشتهر برحلته المسماة " نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب" حيث قسم ابن عمار رحلته إلى ثلاثة أقسام: القسم الأول جعل عنوانه "مقدمة" ويبدو أنـــه كان يريد أن يجعل من هذا القسم خزانة أدب- كما يقول أبو القاسم سعد الله-

يجمـــع فـيها النوادر والأشعار والأخبار المتفرقة عن مولد الرسول والأشواق إلى الـــبقاع الطاهرة لذلك ظهرت مختاراته من الشعر والنثر حتى بلغت المقدمة وحدها حـــين طـــبعت ٢٥٤ صفحة من الحجم المتوسط، وهذا القسم هو الموجود الآن من رحلـــة ابن عمار، وقد تحدث فيه عن الأسباب التى دعت إلى تأليف الرحلة وسبب تســـميتها "نحلة اللبيب" [١٠]. وبين ضرورة الحج شرعاً مستشهداً على ذلك بالآيات والأحاديث ومأثور الشعر والنثر، وعبر عن عزمه فى المقدمة على الحج أوائل سنة ١١٦٦هـ وعـــن شوقه الحار إلى الحجاز. ولا نعلم إذا كان ابن عمار أراد مرافقة الحســـين الورثيلانى فى حجته أم أنها كانت مجرد صدفة فى أن يتم حجهما معاً فى سنة واحدة، حيث أنه لم يذكر مرافقته له، وربما ذكر ذلك فى الجزء الثانى المفقود الذى أطلق عليه "الغرض المقصود" والقسم الثالث الذى سماه "خاتمة". ولكن القسمين مفقـــودان الآن، ولا شك أن القسم الثانى هو أساس الرحلة وهدفها، والمؤلف نفسه يذكر أنه تناول فيه ما يحدث فى السفر إلى الإياب وحط الرحال.

وقـــد أورد معاصـــره أبو راس الناصرى، ما يفيد ان ابن عمار قد انتهى من رحلته كما يفيد كلامه عنه، أنه قد اشتهر بهذه الرحلة حتى أصبح اسمه لا يذكر إلا ملتصقاً بها. وقد مر أبو راس بمدينة الجزائر وهو فى طريقه إلى الحج سنة ١٢٠٤ هـ وسجل فى مذكراته أنه قد لقى فيها بعالمها أحمد بن عمار (مؤلف الرحلة)[١١].

وقـــد تـــرتبت عن رحلة العلماء المغارية إلى الحجاز أهم ظاهرة تميز الفكر المغربـــى وهـــى الأخذ بالمذهب المالكى،وانضواؤه موحداً تحت لوائه، وعلى هذه المـــرحلة اعتمد ابن خلدون حين أراد أن يعلل لانتشار المذهب المالكى فى المغرب حـــيث ذهـــب إلى أن رحلة المغاربة "كانت غالباً إلى الحجاز وهو منتهى سفرهم والمديـــنة يومئذ دار العلم، ومنها (أى العلم) خرج إلى العراق، ولم يكن العراق فى طـــريقهم فاقتصروا على الأخذ عن علماء المدينة وشيخهم يومئذ وإمامهم مالك ... فرجع إليه أهل المغرب وقلدوه دون غيره" [١٢].

وكـــان أعلام الحجاج المغاربة، يضيفون إلى النسك والزيارة العناية بالأخذ – درايـــة أو روايـــة– عـــن مشايخ البلدين المكرمين، ولهذا يطفح عدد من الرحلات المغـــربية بلـــوائح لأعـــلام هذه الجهات: المقيمين أو المجاورين، على أن بعض المؤلفـــين يســـجلون لأســـاتذتهم تراجم قد تشمل على معلومات تخلو منها المعاجم الموضوعية، ومنهم من يثبت نصوص الإجازات.

والمؤلفــون الــذين يجاورون فتطول إقامتهم، يدونون خواطرهم وملاحظاتهم عــن المظاهــر الحضــارية، البقاع المقدسة، فتشمل الاقتصاد والعادات والأزياء ومــواكب الأمــراء وأنظمة الأغوات وما إلى ذلك، كما كان للمثقفين من الحجاج شــغف بالــبحث عــن الذخائر ونوادر المؤلفات ونماذج هذه الظاهرة كثيرة. فابن جبيــر، والتجيبيــى، وابن بطوطة: يعتز جميعهم برؤية المصحف العتيق المنسوب للخليفة الراشد عثمان بن عفان، حيث كان محفوظاً بالبيت الحرام.

كمــا يذكــر ابن جبير خزانة المالكية بالحرم المكى، ثم مصحف نفس الخليفة بالمســجد النبوى ويتحدث ابن بطوطة عن اختزان المصاحف الكريمة والكتب فى قية الشراب التى تلى قبة بير زمزم، ونحو منه عند البلوى، وهو يتحدث أيضاً عن خزانتين كبيرتين بالمسجد النبوى: للكتب والمصاحف الموقوفة.

ومــن الواضــح أن هــذه المشاهدات تمتد أزمنتها من أواخر المائة الهجرية السادســة حتى أواسط الثامنة، وفى القرن الحادى عشر الهجرى يقول السراج وهو فــى رحلته- المسجد النبوى: وبإزاء المحراب من جهة المشرق، خزانتان كبيرتان تحتوى على كتب علمية، ومصاحف قرآنية موقوفة على المسجد المبارك (١٣).

ثــم يشــير العياشــى- فــى الفترة ذاتها- إلى الذخائر والمكتبات بالحرمين الشــريفين ففى المدينة المنورة بالمسجد النبوى: ربعات المصاحف العتيقة، وأجزاء قــرآنية كــريمة، وخزائن الكتب العلمية الموقوفة بالمقام الشريف برسم الإعارة ثم خزائن خاصة لصديق المؤلف: أحمد بن التاج، وكانت عامرة.

وخــزانة كــتب وقف السلطان قايتباى جوار المسجد النبوى. وبمكة المكرمة يذكــر المؤلف ذاته خزانة خاصة لشيخه أبى عيسى مهدى الثعالبى، وكان وضعها بأحــد أروقة البيت الحرام ثم أتلفها السيل الذى دهم المسجد الحرام عام ١٠٧٣هـ/ ١٦٦٢م. ثــم خزانة رباط الموفق ومن نوادرها عدة أجزاء من رحلة ابن رشيد فى وقف المغاربة بهذا الرباط. وأخيراً خزانة رباط قايتباى.

ومــن أبــى سالم العياشى، ننتقل إلى رحلة الغنامى الذى ذكر حديثاً دار بينه وبــين سليمان الحصينى: "فسأله الغنامى هل هنا بالمدينة كتب؟ قال الحصينى: ما من عالم صنف كتاباً بالمشرق أو بالسند أو الهند أو العراق أو غيره من الأقاليم إلا

يصــرف نسـخة للمدينة المشرفة تبركاً ورجاء الإقبال على كتابه، أطلب ما شئت تجده فى كل فن من العلوم" (١٤).

وإذا انتهيـنا إلى أواخر المائة الثانية عشرة، نلتقى بالرحلة الناصرية الكبرى حـيث يعقد مؤلفها فضلاً عما وقف عليه بمكة المكرمة من الكتب النادرة وفى نحو التاريخ المشار إليه يزور الزيانى خزانة وقف السلطان قايتباى بالمدينة ذاتها، ويفيد من أحد محفوظاتها: تاريخ الإسلام الذهبى فى ٧٠جزءاً.

وعلى ما يبدو أن ذكر مراحل الحج ووصف الطريق إلى الحج كان هو هدف كـل مـن كتب رحلة مغربية إلى الحجاز سواء كان من موريتانيا أو من المغرب الأقصى أو من تونس أو الجزائر أو من بلاد الشام أو العراق أو اليمن أو أى مكان آخر، ويعتمد كتاب الرحلة على الكتب الجغرافية فى وصف البلاد والمسافات بينها، وتؤكد الرحلات على الوصف الدقيق لهذه الأماكن والمراحل التى يقطعها الحاج فى طـريقه لأداء الحـج. وذكر الصعوبات الطبوغرافية فى اجتيازهم للصحارى مع انعـدام المـاء الصـالح للشرب أو تعرض طريق الحاج للنهب والسرقة أو انعدام الأمن والخوف من البدو أو الشيالين الذين يخدمون المسافرين.

ودأب كـتاب الرحلة إلى اقتباس الأحدث منهم من الأقدم، ويرجعون إلى كتب الجغـرافيا، وإلى كتب الفقه فى اتباع حكم الشرع فى الأفعال والأقوال منذ خروج ركب الحج المغربى أو الجزائرى أو التونسى فكان لابد أن يكون معهم فقيه يرجع إلـيه وقـت الحاجة وذلك كما فى الحال التى ذكرها الورثيلانى، هناك جدل يظهر أحياناً من الطلاب المرافقين للركب فيعمدون إلى الفقهاء للاستفادة من الفتوى سواء فـى الطريق أو حينما يقومون بأداء الشعائر الخاصة بالحج والزيارة لأن فترة سير قافلـة الحـج العـربية المصرية أو الشمال أفريقية تكون طويلة وتكون فى وقت مـتقارب، فقـد كانت قافلة الحج المصرى فى القرن السادس عشر والسابع عشر تغـادر القاهـرة علـى الأغلب فى اليوم التاسع عشر من شهر شوال من كل عام وتعـود إلـيها فـى أواخـر شـهر محرم، أما فى القرن الثامن عشر حيث ساد الاضـطراب والفوضـى فكثيـراً ما يتأخر تجهيز القافلة بسبب مماطلة الأمراء الممالـيك فـى دفع نفقات الرحلة أصبحت قافلة الحج تخرج من مصر فى أواخر شـهر شـوال وتعـود إليها فى النصف الأول من شهر صفر، فيما عدا استثناءات

بسـيطة ولظـروف خاصة. وتستغرق رحلة الحج حوالى ثلاثة أشهر إذ يستغرق الذهاب أربعين يوماً ومثلها فى العودة (١٥) هذا فى الرحلة من مصر إلى الحج، أما فـى حال الرحلة الجزائرية أو التونسية أو المغربية أو الشنقيطية الموريتانية فيكون الحال مختلفاً لبعد تلك المناطق عن مصر.

وبالـرغم مـن أن الورثيلانـى مثلا لم يذكر لنا عن وجود رحلة حج بحرية تغـادر الجزائـر إلا أن "جوزيـف بتس" انطلق فى رحلته من الجزائر بحراً إلى الإسـكندرية وكان ذلك سنة ١٦٨٠م (١٦) حوالى سنة ١٠٩١هـ. وعلى الرغم من أن العياشـى الذى حج ثلاث مرات فى سنوات ١٠٥٩هـ، ١٠٦٤هـ، وفى عام ١٠٧٢هـ لـم يفكر أن يستخدم البحر وكذلك الحال مع الحسن الورثيلانى الذى حج ثلاث مرات كذلك، على الأقل، فى سنوات ١١٥٣هـ ١١٦٦هـ ١١٧٩هـ. فإذا كان العياشـى مغـربياً والحسـن الورثيلانـى جزائرياً فقد عرفت الجزائر رحلة الحج البحـرية من الجزائر إلى الإسكندرية منذ القرن السابع عشر، على الأقل، أى فى الفتـرة التـى حج فيها الحسن الورثيلانى، وكان المنادى ينادى فى مدينة الجزائر حيـنما تكـون إحـدى السفن جاهزة للإبحار إلى الإسكندرية وميعاد إقلاعها، لأن السـفر بحراً أقل إرهاقاً وتكلفة من السفر براً. ويصف لنا (جوزيف بتس) الرحلة من الجزائر إلى الإسكندرية أنها تستغرق ثلاثين أو أربعين يوما. وتستمر بعد ذلك مـن الإسكندرية إلى رشيد ومنها إلى القاهرة ومن القاهرة إلى السويس. وعلى ما يـبدو أن الملاحة فى النيل من رشيد إلى القاهرة كانت شائعة فإنها أصبحت طريقاً للحجـاج حيث أنهم كانوا يتعرضون للصوص فى النيل، لأن اللصوص يعلمون أن الحجاج يحملون معهم مبالغ مالية، لذا فهم يحاولون نهبهم (١٧).

فـإذا كان استخدام السفن سائراً من الجزائر إلى الإسكندرية فلم يذكره الحسن الورثيلانى ولا نعلم لماذا؛ هل لأنه أراد أن يستخدم الرحلة البرية لأسباب اقتصادية أو لأسـباب أخرى مثلما أشار هو إلى حبه للزوايا والأضرحة الصوفية الذين كان يمر عليها ويزورها فى طريقه من مدينته حتى وصل إلى مصر.

وعلـى كل الأحوال فقد بطل استخدام الطريق البرى للحج مؤخراً بعد رحلة الورثيلانـى كما ذكر الجبرتى فى عام ١٢١٨هـ/١٨٠٣م حينما قال: "فقد سافرت قافلـة الحج والمحمل من السويس وباع الحجاج جمالهم قبل السفر فأصبحت رحلة

الحــاج أقــل صعوبة مما كانت فى الماضى وقد تم التحول تماماً إلى طريق البحر الأحمر ابتداءً من سنة ١٨٥٨م حين حلت السفن البخارية محل السفن الشراعية فى نقــل الحجــاج بــين الســويس وجدة ثم جاء إنشاء الخط الحديدى من الإسكندرية والقاهرة والسويس فزاد استخدام طريق البحر الأحمر [١٨].

وبقى المغاربة فى متابعة ركب الحج المغربى الذى ينطلق من المغرب وليبيا والجزائر وتونس وبلاد البرية السنوية لأداء فريضة الحج عبر مصر حتى تطورت وسائل النقل البرى والبحرى والجوى وأصبح الحج ميسراً والحمد لله.

استعراض لأهم الرحلات المغربية للحجاز:

- أقــدم الــرحلات الأندلسية بل أولها "رحلة حجازية أندلسية" هى التى دونها ابن جبير عن حجته التى بدأ السفر لها- من غرناطة- عام ٥٧٨هـ/١١٨٢م.
- أقــدم الــرحلات مــن العدوة المغربية، يعود تاريخها إلى أواخر المائة الهجرية الســابعة حيث سافر ابن رشيد: محمد بن عمر بن محمد الفهرى من بلدته سبتة، وقــد بــدأ وجهــته- للــبقاع المقدسة- من أواخر عام ٦٨٣هـ/١٢٨٤م. وهى المسماة: "ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة فى الوجهة الوجيهة مكة وطيبة".
- وفــى المائة الهجرية الثامنة عرفت اثنتان من هذه المدونات: واحدة من المغرب "تحفــة الــنظار" لابــن بطــوطة، ابتداءً من عام ٧٢٥هـ/١٣٢٥م والثانية من الأندلس "تاج المغرق" للبلوى: ٧٣٦هـ/١٣٣٦م.

وتتوقف الرحلة الحجازية زهاء ثلاثة قرون: ولا يستثنى من ذلك سوى رحلة القلصادى: على بن محمد بن محمد الأندلسى البسطى، وكانت حجته عام ٨٥١هـ/ ١٤٧٦م وهو يدرج حديثها ضمن فهرسة أشياخه.

وإن هذا الفراغ فى تدوين الرحلات، يكشف عن تراجع سفر المغاربة للحجاز خــلال هذه الحقبة الطويلة، ويبدو أن من أسباب ذلك، اشتغال من يهمهم الأمر فى العدوتــين، بمقارعــة المد الأجنبى الذى داهم المغرب الاسلامى [١٩]. ولما سقطت الأندلس انتهت منها كتابة هذه الرحلات بالعربية.

أمــا المغاربة فى العدوة الأخرى، فقد استأنفوا التأليف فى هذا الاتجاه انطلاقاً مــن المائة الحادية عشرة الهجرية ثم أخذ تدوين الرحلات يتكاثر فى القرنين الثانى

والثالث عشر الهجرى. والملاحظ أن هذه الرحلات تميزت بوصف ارتساماتها عن الحرمين الشريفين، مع المسالك المؤدية إليها عبر جدة، أو على طريق مصر والشام، وأحيانا طريق العراق: الجهة التى سلكها ابن جبير عند عودته، ثم سافر عليها ابن بطوطه مرتين (٢٠).

* الرحلات:

١- رحلة ابن جبير: محمد أحمد الكتانى البلنسى، المتوفى عام ٦١٤هـ/١٢١٧م، "تذكره الأخبار عن اتفاقات الأسفار" مطبعة السعادة بمصر عام ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م فى ٣٣٢ صفحة وانظر عن طبعاتها الأخرى سركيس فى معجم المطبوعات ع٦٢.

وكانت حجته التى دون عنها الرحلة فى عام ٥٧٩هـ/١١٨٤م.

٢- أبى القاسم التجيبى: القاسم بن يوسف بن محمد السبتى، المتوفى عام ٧٣٠هـ/١٣٢٩م والمعروفة باسم "مستفاد الرحلة والاغتراب" والمعروف منها- الآن- مجلد واحد يتناول سفره للديار المصرية وجدة ومكة المكرمة عام ٦٩٦هـ/١٢٩٦م. وقد نشر بتونس- لأول مرة- فى مطبعة الشركة التونسية لصون الرسم عام ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م. فى ٤٦٨ صفحة عدا المقدمة والفهارس.

٣- ابن بطوطه: محمد بن عبد الله بن محمد اللواتى الطنجى، استمر بقيد الحياة حتى عام ٧٧٠هـ/١٣٦٨-١٣٦٩م رحلته المسماة "تحفة النظار، فى غرائب الأمصار، وعجائب الأسفار". وقد وقعت حجته الأولى عام ٧٢٦هـ/١٣٢٦م.

نشرتها المكتبة التجارية الكبرى بمصر فى جزئين: وانظر عن طبعاتها الأخرى: سركيس فى معجم المطبوعات ع٤٩.

وهو والزيانى أضافا إلى وصف معالم الحج والزيارة ومسالكها ذكر جهات أخرى بالحجاز واليمن وما إليها، على اقتضاب فى ارتسامات هذا الأخير (٢١).

٤- البلوى: خالد بن أحمد الأندلسى القنتورى، كان بقيد الحياة عام ٧٥٥هـ/١٣٥٤م. وقد حج عام ٧٣٦هـ/١٣٣٦م.

لا تزال هذه الرحلة فى نسخ متعددة بالمغرب ومنها واحدة م.م ١٤٤ ضمن مجموعة: ص١٨٤-٣٥٦حيث يوجد موضوع الحجاز ص١٩٦-٢٣٧.

٥- ابـن مليح: محمد بن أحمد بن عبد العزيز القيسى، تاريخ وفاته غير معروف، وكانـت رحلـته للحجاز ما بين عامى ١٠٤٠ و١٠٤٢هـ (١٦٣٠ و١٦٣٣م). وتسـمى رحلته "أنس السارى والسارب من أقطار المغارب إلى منتهى الآمال والمآرب سيد الأعاجم والأعارب".

نشـر بتحقـيق الأستاذ محمد الفاسى الفهرى بمطبعة محمد الخامس بفاس عام ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م فى ١٤٥ صفحة عدا المقدمة والفهرس.

٦- العياشى: أبى سالم عبد الله بن محمد بن أبى بكر العياشى، المتوفى عام ١٠٩٠ هـ/١٦٧٩م المسماة بالرحلة العياشية.

المطبعة الحجرية الفارسية عام ١٣١٦هـ فى مجلدين وفى الرباط الطبعة الثانية مصورة على الأوفسيت عام ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م. دَوّن فيها أخبار حجته الثالثة عـام ١٠٧٢هـ/١٦٦١-١٦٦٢م. وبعـض مخطوطات هذه الرحلة، مذيل بنصوص الإجازات المشرقية ومنها نسخة المؤلف بخطه وهى محفوظة بمكتبة الزاوية الحمزاوية فى إقليم قصر السوق وقد نشر حديثاً الجزء الخاص بالمدينة المـنورة بتحقيق الدكتور محمد أمحزون نشرته دار الأرقم للنشر والتوزيع فى الكويت سنة ١٩٨٨م.

٧- اليوسـى: أبـى على الحسن بن مسعود، المتوفى عام ١١٠٢هـ/١٦٩١م من جمع ولده محمد، ورحلته تسمى "رحلة أبى على اليوسى" مخطوطه م.م ٢٣٤٣ فـى ٥٤ صفحة من الحجم الصغير، وموضوع الحجاز بها من صفحة ٢٧ إلى صفحة ٤٦ [٢٢].

٨- الغنامـى: عبد الرحمن بن أبى القاسم الشاوى المزمزى، ورحلته تسمى "رحلة القاصدين ورغبة الزائرين"، تاريخ وفاته غير معروف، وقعت حجته فى أواخر عـام ١١٤١هـ/١٧٢٩م مـنها مخطوطة فريدة م.م ٥٦٥٦ فى ٢٤ صفحة مستطيلة، مبتورة يسيراً من الآخر وحجازياتها من صفحة ٢ إلى صفحة ١١.

٩- الإسـحاقى، محمـد الشرقى بن محمد، رحلته تسمى "رحلة الإسحاقى"، تاريخ وفاته غير مضبوط وحج عام ١١٤٣هـ/١٧٣٠م.

يقـع الموجـود مـنها فى مجلد يشتمل على ٣٨٩ صفحة حسب مخطوط م.م ١٤٢٨ ز وهى فيما يرجع مأخوة من نسخة القرويين رقم ٢٥٨.

ومن الصفحة ٢٠٥ حتى ٣٨٩ أسهب الإسحاقى فى الحديث عن مكة المكرمة وما إليها، حيث ينتهى هذا الجزء بعد الانتقال إلى المدينة المنورة.

١٠- أبى مدين الدرعى: محمد بن أحمد الصغير السويسى الأصل المتوفى عام ١١٥٧ هـ/١٧٤٤م. رحلته تسمى "رحلة أبى مدين الدرعى". مخطوطة المؤلف خ.ع ٢٩٧ ضمن مجموعة من صفحة ١٢٠ إلى صفحة ٢٨٠ وحجته عام ١١٥٢هـ/ ١٨٣٩م حيث استغرقت حجازياتها من صفحة ١١٤ إلى صفحة ٢٠٦.

١١- أحمد بن عبد الله العربى الرباطى الدكالى (١١٧٨هـ/١٧٦٤م) الذى رحل إلى المشرق عام ١١٤٠هـ/١٧٢٧م وأخذ عن شيوخ مصر والحرمين وصار صيته فى الحجاز، فأصبح أحد سفراء الشرق لا فى المغرب الأقصى وحده بل من فاس إلى دكار وذلك نظراً للدور الذى كانت تقوم به جامعة القرويين وعلمائها بين الشناقطة وأهل السنغال من خلال مذهب واحد تغلغلت جذوره فى قلب الحواضر والبوادى وهو مذهب إمام المدينة مالك بن أنس، ويكفى أن نلاحظ أن على ابن عبد القادر الشرقى باشا السّودان (أى السودان الغربى أو السنغال الحالية) هو الذى ترأس ركب الحجيج السودانى عام ١٠٤٠هـ/ ١٦٣٠م وصحبه الرحالة المغربى ابن المليح الذى أشرنا آنفاً إلى رحلته، حيث كانت مواكب الحجيج من داكار إلى فاس تتجمع لتأليف قوافل ما يمكن أن نسميه اليوم "بأفريقيا الشمالية الغربية".

وبعض هؤلاء الحجاج لم يصنفوا الرحلات بل صنّفوا فى "مناسك الحج وآداب الزيارة ومنهم أحمد بن قاسم جسوس ١١٣٣١هـ/١٩١٢م الذى توجد مخطوطة كتابة فى المكتبة العامة بالرباط (عدد١٨٢١) وأحمد بلقاسم الكرسيفى السوسى.

١٢- الناصرى: محمد بن عبد السلام الدرعى. المتوفى عام ١٢٣٩هـ/١٨٢٣م ورحلته تسمى "الرحلة الكبرى". نسخة المؤلف بخطه المهمشة بإلحاقاته م.م ٥٦٥٨ (المكتبة الملكية بالرباط) دون فيها أخبار رحلته الحجازية عام ١١٩٦هـ/١٧٨١م حيث ورد بها حديث هذه المنطقة صفحة ١٨٣-٢٧٧.

١٣- الزيانـــى: أبـــى القاســـم بن أحمد، المتوفى عام ١٢٤٩هـ/١٨٣٣م، مطبعة فضـــال بالمغرب فى صفحة ٦٦١ صفحة نصاً وتقديماً وتعاليق، عمل الأستاذ عـــبد الكريم السفيكالى ورحلته المسماة الترجمانة الكبرى التى جمعت أخبار العالم براً وبحراً [٢٣].

١٤- أبـــو راس: محمـــد بن أحمد بن عبد القادر الناصرى المعسكرى الجزائرى الجليلـــى ١٢٣٩هـ/١٨٢٤م. له عجائب "أو غرائب الأسفار" (نسخ بالجزائر عدد ١٦٣٢، وتلمسان عدد٩٦، وباريس عدد ٥١١٤).

١٥- أحمـــد بـــن محمد أحزى الهشتوكى، له رحلة أسماها "هداية الملك العلام إلى بـــيت الله الحـــرام وزيـــارة النبى عليه الصلاة والسلام" وتوجد بخط المؤلف بخـــزانة تمكوت الصحراء رقم ٢٧٦، وقد شرع فى هذه الرحلة عام ١٠٩٦ هـ/١٦٨٤م [٢٤].

١٦- إدريـــس بن عبد الهادى الشاكرى ١٣٣١هـ/١٩١٣م، له رحلة حجازية فى كراســـتين، توجد نسخة منها فى المكتبة العامة بالرباط عدد ١١١٥د ونسخة أخـــرى فى مكتبة الكلاوى، وقد حج عام ١٢٨٨هـ/١٨٧١ وفى رحلة ثانية إلى الحج توفى بالحجاز.

١٧- عبد السلام بن محمد بن المعطى السرغيثى العمرانى المراكشى، له رحلة قام بهـــا مع شيخ سيدى محمد الكتانى عام ١٣٢١هـ/١٩٠٣م وتوجد نسخة منها بخزانة الكتانى بالمكتبة العامة بالرباط.

١٨- محمـــد بـــن محمـــد الثامـــراوى ١٢٨٥هـ/١٨٦٨م. له رحلة قام بها عام ١٢٤٢هـ أوردها بنصها محمد المختار السوسى فى كتابه المعسول (ج٨ ص ١٩٨-٢١٣). ومـــن فـــوائد الرحلة أن المؤلف جلب كتباً كثيرة بخط مشرقى عززت التبادل الثقافى بين المشرق والمغرب.

١٩- محمـــد بن منصور العامرى التازى، المتوفى حوالى ١١٧٠هـ/١٧٥٦م، له "الـــرحلة العامرية" وصف فيها المراحل من تازه إلى الحرمين والشام، وهى همزية نظمها فى ٣٣٥ بيتاً عام ١١٥٢هـ وتوجد منها نسخة بالمكتبة الأحمدية بفـــاس، ونسختان بمكتبة الأستاذ محمد المنونى بمكناس: أحدهما بخط المؤلف

وقـــد نشر المنونى نص هذه الرحلة فى كتابه ركب الحج المغربى، (ص٨٨) نظم مراحل الحجاز مع شرحه لابن غازى المكناسى.

والمغاربـــة الـــذين جاوروا فى الحجاز وطافوا بالمعمور ناقلين روائع الفكر الإسلامى الحجازى وخاصة المكى والمدنى إلى مختلف الجهات نذكر منهم:

٢٠- محمد المجيدى اليعقوبى المغربى الذى كان أحد أربعة لم يبلغ أحد مبلغهم فى عصـــره وهـــو القـــرن الثانى عشر الهجرى، وكانت له جولات فى الحجاز وسائر أقطار الشرق، وقد أفرد بعض هؤلاء الشيوخ التأليف لعلماء الشرق أو بعض عواصم الشرق فقد صنف (حازم) صاحب المقصورة والشيخ ابن رشيد الســبتى "الـــدرة المضـــيئة فى تاريخ الإسكندرية" فى مجلدات "والمستفاد من شـــيوخ بغداد" (درة الحجال ص١٣٧). وما ناب عواصم الشرق هو قليل من كثير مما كتب حول الحرمين الشريفين.

٢١- عـــبد الله السوسى الأديب الشاعر الذى أقام بتونس وفاق أقرانه، ثم توجه إلى الشـــرق وخاصـــة الحجـــاز واستفاد من علمائه، وعاد إلى أفريقيا حيث نقله الأميـــر علـــى إلى تونس (عيون الأديب عما نشأ بالمملكة التونسية من عالم أديب) للشيخ محمد النيفر ح٢ ص٢٠ طبعة تونس ١٣٥١هـــ.

٢٢- محمد بن خليفة المدنى الرحالة الشاعر الذى توفى بمكناس ١٣١٣هـــ/١٨٩٥ م، (الإعلام للمراكشى ح٦ ص١٧٨ مخطوط).

٢٣- محمـــد الفاطمـــى بن الحسين الصقلى الشاعر المحاضر، دفين المدينة المنورة ١٣١١هـــــ/١٨٩٣م. له تاريخ فى علماء عصره (الاعلام للمراكشى ح٦ ص ١٥٧، مخطوط) وقد افتتحه بشيخه على بن ظاهر الوترى، مسند المدينة المنورة (١٢٦١هـــــ/١٣٢٢م) الذى زار المغرب مرتين (١٢٨٧هـــ،١٢٩٧هـــ) وأخذ عن علماء مغاربة كثيرين وابن ظاهر هذا هو الذى أحيا موات الرواية بالمغرب وأنعشها بالمشرق (الاعلام للمراكشى ج٧ ص١٣٥، مخطوط).

٢٤- محمـــد بن أحمد بن سالم الصباغ المكى، الذى توفى فى رحلته إلى المغرب عام ١٣٢١هـــ/١٩٠٢م، له "تحصيل المرام فى أخبار البيت الحرام والمشاعر العظام" (الاعلام للزركلى ح٦ ص٢٤٧، ملحق بروكلمان ح٢ ص٨١٥، دار الكتب ح٥ ص١٢٥) [٢٥].

رحلة "نزهة الأنظار فى فضل علم التاريخ والأخبار"

- أنموذجاً لأدب الرحلة:

مؤلفها الحسين بن محمد الورثيلانى، وقد أملى الرحلة على تلاميذه، فكاتب المخطوطة هو عبد القادر الصغير، وقد كتبها إملاءً من أساتذه الورثيلانى، كما أفاد فى مقدمة الكتاب، الذى حققه محمد بن أبى شنب وطبعه فى مطبعة بيير فونتانا بالجزائر سنة١٩٠٨م.

ولد المؤلف سنة ١١٢٥هـ وتوفى فى رمضان ١١٩٣هـ فى الجزائر، وأسرته من أهل الطرق الصوفية تدعى الشرف حيث تربى وتثقف بين الزوايا الصوفية حتى أصبح مرابطاً وشيخاً للطريقة الشاذلية.

- مؤلفات الورثيلانى:

١- شرحه على القدسية للإمام المحقق عبد الرحمن الأخضر.

٢- شرحه على وسطى الإمام السنوسى.

٣- شرحه على محصل المقاصد للإمام أبى العباس أحمد بن زكرى التلمسانى.

٤- شرح خطبة شرح الصغرى للسنوسى.

٥- حاشية على حاشية المحقق السكتانى التى وصفها على شرح السنوسى.

٦- رسالة على قول بعض الأولياء "وقفت على ساحل وقف الأنبياء دونه ... إلخ.

٧- رسالة على قول بعض الأولياء: "برنساً من ماء وغطيت به من الأرض إلى السماء ... الخ

٨- حاشية على صغير الخرشى.

٩- تشطير قصيدة البردة للبصيرى.

- وصف الكتاب:

يقع الكتاب المطبوع فى ثمانمائة وأربع عشرة صفحة من الحجم الكبير بما فيها كلمة المحقق وترجمة المصنف كاتب المخطوطة، بطباعة مغربية جميلة. ويتبع

المحقق فى التحقيق أسلوب توضيح الفرق بين النسخ بتوضيح الساقط فى بعض النسخ الأخـــرى وإثـــباته فى الهامش دون المساس بالمتن، ويرجع إلى بعض المصادر فى تحقيق الكلمات مقتبسة منها، مثل رجوعه إلى كتاب الرحلة الناصرية لتصحيح بعض الكلمات مثلما وجد فى ص (٨٨) وفى مواضع أخرى ص (٢٠٢) ثم أعد المحقق فهارس خمســـة للكـــتاب؛ فكان الفهرس الأول لأبواب الكتاب، الفهرس الثانى يتعلق بأسماء الـــرجال والنساء والقبائل مرتبة ترتيباً هجائياً، والفهرس الثالث يتعلق بأسماء الأماكن والـــبلدان والجبال والأنهار، أما الفهرس الرابع فكان يخص أسماء الكتب الواردة فى الرحلة بينما كان الفهرس الخامس يتعلق بقوافى أبيات الشعر الواردة فى الرحلة.

- عصر المؤلف:

تعكس رحلة الورثيلانى حالة بلاد الجزائر وشمال أفريقيا وحالة بلاد الحجاز فى السنوات الثلاث التى حج فيها الورثيلانى، وترجع أهمية الرحلة إلى بُعد مؤلفها عـــن التأثيـــرات السياسية الموجهة حيث لم يكن قريباً من الحكام بل كان قريباً من الـــزوايا والتصوف مما جعل انتاجه الفكرى عاماً وبصورة تلقائية معبراً عن طابع المجـــتمع الجزائـــرى بل المغربى بصفة عامة آنذاك من ناحية اهتمامه بالتصوف والأولـــياء والصـــالحين، ولهـــذا نجـــد الورثيلانى يمدنا بصورة لمجتمع الجزائر وملامحـــه، سواء مجتمع المدن الكبيرة أو الصغيرة، كالزاب وبسكرة، بلاد الجريد، تـــونس، قابس، طرابلس ... الخ. ويساعدنا كذلك على معرفة عقلية الجزائريين فى تلـــك الفترة التى دخلت تحت الحكم العثمانى الذى استغرق ثلاثة قرون (من أوائل القـــرن العاشر الهجرى السادس عشر الميلادى إلى سنة ١٢٤٦هـ (١٨٣٠م) حيث احتل الفرنسيون الجزائر).

لقد وصفت هذه الفترة بتقلص الحياة العلمية فى الجزائر بما فيها بدائية التعليم ونقـــص المـــدارس وقلـــة التأليف وعدم الاهتمام بالعلم والمثقفين بالإضافة إلى أن الجزائـــر العثمانية لم تكن تتوفر على مؤسسة للتعليم العالى مما ترتب عليه هجرة الراغبين منهم فى طلب العلم، ولكن كثيراً منهم كانوا يعودون إلى وطنهم، ومعظم هؤلاء كان يقصد مصر والحرمين الشريفين، ومن هؤلاء العلماء المفتى الجزائرى أحمـــد بن عمار، وحمود المقانسى، ومحمد بن العنابى، ولا يخفى أن هجرة هؤلاء العلماء قد أثرت على مستوى الحياة الثقافية فى الجزائر.

كما وسمت هذه الفترة من تاريخ الجزائر بانتشار البدع وشيوع حلقات الذكر والأوراد، وتعدد الطرق الصوفية وتطرفها فى عقائدها، وقد كان بعضها يعمل بتشجيع واضح من الحكام العثمانين، ويقول بعض الكتاب أن من يقرأ كتباً مؤلفة خلال هذا العهد مثل كتاب (البستان) لابن مريم و (منشور الهداية) لابن الفكون و (كعبة الطائفين) لابن سليمان ورحلة الورثيلانى يدرك ما وصلت إليه الحالة العقلية فى الجزائر العثمانية (٢٦). وعلى ما يبدو كان العالم الإسلامى يعيش فى عصر الطرق الصوفية وسيادة الزوايا وانتشار نفوذ هؤلاء سواء كان بالمغرب أم فى الجزائر كان عاماً وشاملاً فى البوادى والحواضر، بحيث صار وصف الناس بالزهد والفقر (بالمعنى الصوفى) والنسك والتبتل من الأهداف الأساسية فى الحياة بل أصبح ذلك عملة رائجة فى نطاق التعايش. ومن هنا كان التصوف ورجاله واقعاً فعلياً للحياة وصارت الوقائع الاجتماعية مرتبطة بالمبدأ وممارسيه (٢٧).

- الدراسة:

اخترت رحلة الورثيلانى مثالاً للرحلات الجزائرية إلى الحجاز لأنها تمثل واحدة من الرحلات الكاملة التى وصلتنا، وهى تعبر عن أنموذج لما كتب فى القرن الثانى عشر الهجرى- الثامن عشر الميلادى حيث أن أغلب الرحلات المكتوبة التى وصلت إلينا مغربية المصدر أو تونسية، وعلى الرغم من قلة الرحلات الجزائرية إلى الحجاز، فإن رحلة الورثيلانى جزائرية المنشأ والولادة وهى تعبر عن حياة وثقافة ذلك العصر فى الجزائر إبان الحكم العثمانى.

إن ما يميز رحلة الورثيلانى عن غيرها من الرحلات المغربية كون مؤلفها جزائرياً ومن أسرة من أهل الطرق الصوفية تدعى الشرف حيث تربى وتثقف بين الزوايا الصوفية حتى أصبح مرابطاً وشيخ الطريقة الشاذلية كما أسلفنا. كما أن اهتمام الورثيلانى بموضوع الرحلة جاء بعد أن قام بالرحلة إلى الحجاز للحج ثلاث مرات على الأقل كأستاذه العياشى، فقد حج الورثيلانى المرة الأولى سنة ١١٥٣هـ والثانية سنة ١١٦٦هـ والثالثة سنة ١١٧٩هـ، فيجمع أخبار الحجاز فى كل هذه الرحلات التى رحل فيها إلى الحجاز، ودون الكتاب بعد الرحلة الأخيرة.

وإذا كانت هناك ثمة ميزة إضافية للورثيلانى فهى اعتماده على مصادر مهمة بعد المشاهدة وتدوين الملاحظات حيث اعتمد على رحلة أبى سالم العياشى

(١٠٣٧/١٠٩٠)هـ ورحلة الدرعى (١٠٥٧/١١٢٩)هـ، والسمهودى، والمقريزى، وابن فرحون، والبكرى المتوفى عام (١٠٢٨) هـ، والعبدرى الذى حج ٦٨٩هـ، والسيوطى زوابن رشيد السبتى (٦٥٧/٧٢١)هـ. وكأنى به قد جمع فأوعى فأصبح كتابع شاملاً للمعلومات عن الجزائر والمغرب والحجاز فى القرن الثامن عشر الميلادى، حيث لا يجب أن نغفل مساهمات من سبقوه من الرحالة المغاربة السابقين لعصر الورثيلانى إلا أن مساهمة الورثيلانى، لا تنسى فى رصد مظاهر التغير الذى طرأ على الحجاز فى تلك الفترة كما تصور الحياة الثقافية والفكرية بالإضافة إلى حالة الأمن وضعفه فى الحجاز والتى وصفها الورثيلانى فى رحلته وكيف انحدرت الأوضاع الأمنية فيه فى عهد الأمير مسعود بن سعيد الذى توفى سنة ١١٨٣هـ. وتأتى الرحلة لتوضيح الحالة السيئة التى يعيشها الحجاز، حيث يصور لنا الورثيلانى كيف أن الأحوال ساءت بين الحجة الأولى والحجة الثالثة [٢٨]، حيث فقد الأمن والآمان فى الحجاز فلم يكن الأمر مقصوراً على ظلم الناس بعضهم لبعض بل أصبح يصدر عن الولاة أيضاً [٢٩].

كذلك سجلت الرحلة أحوال الجزائر فى تلك الفترة التى عاش فيها المؤلف فى الجزائر ومدى إغراق الناس فى الخرافات والتصوف، ومما يشد الانتباه لقارئ رحلة الورثيلانى ذلك الوصف لما كان يجرى فى الجزائر من اعتقاد دينى شعبى وصوفى كل ما صورته الرحلة عن مؤلفها نفسه حينما يروى هو نفسه زيارته للنبى سيدى خالد عليه السلام فيقول: "مشينا لزيارة النبى سيدى خالد عليه السلام على القول بنبوته، وقد شهر غير واحد من المتأخرين رسالته بجبل الرس الملقب الآن أبو راس، وكانت معجزته ناراً- ويستطرد الورثيلانى وكانت رسالته قبل رسالة سيدنا محمد عليه الصلاة و السلام بمدة قريبة "غير أنه يؤكد على أن رسالته صلى الله عليه وسلم نسخت جميع الرسائل والشرائع [٣٠].

ويستمر الورثيلانى فى الحديث عن الأولياء، واستشهد على محبته لزيارة القبور الخاصة بالأولياء الموجودة ببلاد الزاب، وهذا يدل على اهتمامه بالمقامات والأضرحة التى يمر بها كما لاحظناه فى مقدمة الرحلة يؤكد على هذا التصوف، وذكر رجاله حيث ذكر الولى الصالح سيدى أحمد بن عمر سيدى أحمد المرزوق بن المصباح، وسيدى الحسين بن أعراب من بنى يرانن، وسيدى أحمد بن باباس

الفلســـى، وســـيدى أحمد بن عمر التدليسى، وقد ظهرت عليهم آثار الفضل وأنوار الحــق مشرقة عليهم [٣١]. وذكر الورثيلانى كذلك حين وصوله إلى ببجاية ودخوله إلــيها لــزيارة المقابــر والأضرحة ثم خروجه إلى تلمسان لزيارة خلوة الشيخ أبى مــدين الغوث وقبره فى تلمسان حيث سكن بجاية فى القرن السادس الهجرى حتى سعى به بعض الحساد إلى أمير مراكش، فذهب إلى تلمسان وتوفى هناك [٣٢].

والملاحــظ أن ذكر الورثيلانى لزيارة الأولياء والصالحين لا يعتمد فيها على معاصــريه بل ترجع تلك المعلومات إلى مصادر مثل صاحب كتاب عنوان الدراية أو إلى مصادر أخرى [٣٣].

كــذلك اســتعرض الورثيلانى تراجم العلماء والأولياء حين أتى على ذكرهم ضــمن أولياء القرن العاشر الهجرى مثل "من أكابر الأولياء سيدى محمد أمقران، سيدى عبد الرحمن الصباغ وهو من القرن العاشر" [٣٤]. وكان الورثيلانى قد أشار فــى المقدمة حينما قال: "أنشأت رحلة عظيمة يستعظمها البادى ويستحسنها الشادى فإنهــا تــزهو بمحاسنها على كثير من كتب الأخبار بينما فيه بعض الأحكم الغربية والحكايــات المستحسنة والغرائب العجيبة وبعض الأحكام الشرعية مع ما فيها من التصوف بما فتح الله به على أو منقولاً من الكتب المعتبرة [٣٥].

- مصادر الرحلة وأسلوب المؤلف ومنهجه:

اقتــبس الورثيلانـــى من مصادر عديدة سواء ما يتعلق بالحجاز أو ما يتعلق بالجزائــر والمغــرب وتونس وطرابلس وغيرها من المناطق التى مر عليها ركب رحلــته، غيــر أن اقتباساته كانت كثيرة من رحلات من سبقوه مثل رحلة أحمد بن محمد ناصر الدرعى (الرحلة الناصرية) ورحلة أبى سالم العياشى (مائدة الموائد) فأحــياناً كــان يشير إلى تلك الاقتباسات بتحديد مواضعها، وأحياناً لا يذكر، فمثلاً ذكــره مــرة قــائلاً: قــال شــيخ شيوخنا سيدى أحمد بن ناصر ... [٣٦] ثم يسرد اقتباســاته. أو يقول "وكما ورد فى المدخل لابن الحاج" أو غير ذلك من كتب الفقه أو كــتب التصــوف. ففــى الــتاريخ الميلادى حينما قال (ضحى الثلاثاء الخامس والعشرين من رجب والعشرين من شتنبر) ولم يذكر السنة [٣٧] ثم يتكلم عن نزوله إلـــى ضـــريح عقبة بن نافع الفهرى، وسرد لنا قصة اختيار موقع مدينة القيروان وهــنا اقتــبس الورثيلانـــى مـــن الرحلة الناصرية للدرعى. والناصرى هو الشيخ

أحمــد بــن محمد بن ناصر الدرعى (١٠٦٩/١١٢٩هــ) وقد قام برحلته للحجاز للحــج، فخــرج من الزاوية الناصرية فى الرابع والعشرين من جمادى الأولى سنة ١١٢١هـ وعــاد إليها فى الخامس من رمضان سنة ١١٢٢هــ. وتعتبر هذه الرحلة مــن أوســع الــرحلات إن لم تكن أوسعها وأشملها. وتقع فى جزئين، وطبعت فى مديــنة فاس طباعة حجرية فى سنة ١٣٢٠هـ فى أربعمائة واثنتين وأربعين صفحة بخــط مغربى دقيق ولقد نقل الورثيلانى عن العياشى فأكثر، كما نقل محمد بن عبد السلام بن عبد الله الناصرى الدرعى المتوفى سنة ١٢٣٩هـ عن هذه الرحلة فأكثر.

ومن الواضح أن اهتمام الورثيلانى فى مصادره أعتمد على مؤلفات كان معظم أصــحابها من المتصوفة فكان الناصرى (أحمد بن محمد بن ناصر الدرعى) متصوفاً مــن درعــة وهى بلدة تقع غرب مدينة مراكش وبها تقع بلدة تمكروت التى تقع فيها (الزاوية الناصرية) ذات الأثر العظيم فى نشر الثقافة الإسلامية، فى تلك الجهات من المغــرب وفــى أفريقية بصفة عامة وكانت مركزاً من مراكز العلم فى المغرب كما تعتبــر أحسن زوايا المغرب. ويوصف أهلها بأنهم المتقدمون بعمل أهل المدينة ومكة المتمسكون بالسنة ومن علماء تلك الزاوية فى العصور الأخيرة محمد بن عبد السلام بــن عبد الله بن محمد الناصرى، وهو من بيت مشهور فعمه الشيخ يوسف بن محمد بــن عــبد الســلام المذكور نشأ نشأة صوفية، إلا أن صلته بكبار علماء الحديث فى عصره مكنته من أن يتجه لهذا العلم حتى عُد من المحدثين الواسعى الاطلاع بل نراه فــى كثيــر مــن الأمور يتخذ من الحديث منهجاً يسير عليه، وحجة يبطل بها آراء معارضيه فى عصر طغى فيه الجمود الفكرى، وانتشرت فيه البدع والخرافات (٣٨).

كذلك كانت اقتباسات الورثيلانى فى رحلته المذكورة من رحلة العياشى "مائدة الموائد" حيث اشتهرت رحلة العياشى كثيراً فالعياشى هو أبو سالم عبد الله بن محمد العياشى نسبة إلى قبيلة ابن عياش وهى قبيلة من البربر تقع جنوبى شرق المغرب (١٠٣٧/١٠٩٠) هـ كــان متصــوفاً، وينتمى العياشى إلى أصل عربى فهو علوى ينتمـــى بنسبه إلى الأدارسة، وكان يعرف بعفيف الدين المالكى. وقد قضى العياشى أكثــر عمره فى الزاوية العياشية ، هذه الزاوية تنسب إلى والده محمد بن محمد بن أبــى بكر العياشى الذى أسسها عام ١٠٤٤هــ/١٦٣٤م إشارة من شيخه محمد بن أبى بكر الدلائى (٣٩).

وكـــان أبـــو سالم متمسكاً بالزهد والورع جانحاً إلى الطريقة الصوفية له اتباع وشهرة فى المناطق المحيطة بزاويته، وكان فى غاية الجد والاجتهاد فى ضبط أوقاته الضبط الذى طولب به أهل العلم مع ما عرف به من لين وعطف وسخاء ونصيحة.

اعـــتمد الورثيلانى كثيراً منذ بداية الرحلة على صاحب الناصرية وكأنه سار علـــى طـــريقه، فيستشهد به حين خروجه من الزاب إلى بسكره بالجزائر، ثم حين خـــروجه مـــن بســـكره ونـــزوله على ضريح عقبة بن نافع الفهرى كذلك اقتبس الورثيلانـــى مـــن الـــرحلة الناصـــرية قصة فتح عقبة بن نافع أفريقية هو والقواد الآخـــرون أمـــثال أبـــو المهاجر دينار وحسان بن النعمان فى غزوتهم ضد القائد والزعيم البربرى كسيلة بن المزم والكاهنة ... إلخ [٤٠].

وذكـــر الورثيلانـــى أخـــباراً عن حجته السابقة فى عام ثلاثة وخمسين ومائة وألـــف [٤١] وعاود الاقتباس من الرحلة الناصرية فى حديثه عن مدينة توزر وبلاد الجريد وهما فى نواحى تونس ثم خروجه إلى قابس ووصوله إلى طرابلس [٤٢].

وفـــى تفســـير معنـــى طرابلس بالعجمية يقتبس من الرحلة الناصرية وحينما يصـــفها وصفاً جغرافياً، ويورد قصة فتح طرابلس على يد عمرو بن العاص سنة ثلاث وعشرون للهجرة وأخبارها.

ويذكر الورثيلانى نقلاً عن الدرعى فى الرحلة الناصرية أن من عادة الركب إذا نزل مدينة طرابلس أن يقيم بها نحواً من شهر ليستعدوا لدخول مغازة برقه [٤٣] ولـــم يذكر الورثيلانى ما إذا كان قد حج مع ركب المغربى أو الركب الجزائرى أو غيره لأن ما يعرف بالركب هو تنظيم دينى عرف ببلاد المغرب منذ القرن السابع الهجـــرى الـــثالث عشـــر الميلادى أواسط عهد الموحدين على يد الإمام أبى محمد صالح الماجرى فقد كان من أهم أركان طريقته الدعوة لحج بيت الله الحرام وزيارة قبـــر النبـــى صـــلى الله عليه وسلم، وجعل من أصحابه جمعية تبشيرية تدعو لتلك الغايـــة، وتعـــددت رحـــلات الحـــج المغربى فعرف الركب السجلماسى والركب المراكشى والركب الشنقيطى والركب البحرى [٤٤].

كـــذلك لم يذكر أى الطرق سلك وإنما انشغل بالاقتباسات فيما يتعلق بالرحلات السابقة كالعبدرى أو رحلة الناصرى الدرعى، أو رحلة العياشى. غير أن الورثيلانى يذكر ذلك فى موقع لاحق فى حديث له عن الركب المغربى [٤٥]، وتظهر أهمية كتابه

الـــرحلة حينما يشير الورثيلانى فى محاولة منه لتدوين ما يتعلق برحلاته الثلاث فى المواضــع المناســبة، فنراه يذكر ما سمعه: "من الشيخ سيدى محمد بن مساهل سنة أربع وستين فى الرحلة التى قبل هذه ... " ويشير فى موضع آخر لاقتباس من رحلة أحمــد بن ناصر: "ومن رحلتنا للحرمين الشريفين سنة ست وتسعين وألف ... " أى أن الورثيلانـــى ضمن ملاحظه واقتباساته ومشاهداته وسماعه بعد رحلاته الثلاث فى مدونة واحدة، وهذا ما يبرز ضخامة حجم هذه الرحلة.

ويصـــف بعض الأحداث التاريخية حينما يصف ما تعرضت له مدينة طرابلس للقصف بالمدافع من البحر وهو كشاهد على الحادث فى أيامه يصبح كمصدر للتاريخ عـــن الأحـــداث التـــى يراها ويدونها، ويبدو من وصف الورثيلانى أن ذلك القصف الشديد لم يؤد إلى تسليم المدينة الذى كان واليها التركى عاجزاً عن الدفاع عنها (٤٦).

ويتعـــرض الورثيلانى للحديث عن أضرحة الأولياء والزوايا فى مدينة طرابلس ونجده لذلك يقتبس من الرحلة الناصرية (٤٧). كما يتعرض لموضوع السماع للأغانى وإنشـــاد الألحـــان والأشـــعار وهـــو الصوفى الذى يطرب للأمداح النبوية والأذكار ويستشـــهد بأقوال إمام الطريقة الجنيد، وأقوال الإمام أبى الحسن الشاذلى وأبى العباس زروق وأبـــى العباس المرسى والإمام محى الدين بن العربى وكل هؤلاء من مشائخ المتصـــوفة لا يحضّون على السماع (٤٨). ويستمر الورثيلانى فى حديثه عن الرحلة دون أن يذكـــر أنـــه حج مع الركب الجزائرى ولا يعلن عن ذلك إلا فى مكان لاحق غيـــر انـــه أشـــار عرضاً إلى استخدام سفينة لنقل الزاد وإرسال مجموعة كبيرة من أصـــحابه فـــى هذه السفينة من طرابلس ليبيا إلى الإسكندرية بينما كان الركب متجها إلى تاجوراء. وكان من عادة السفن فى تلك المدينة أن تتأخر إلى آخر رمضان فربما عـــاقهم ذلك عن الحج، غير أن الورثيلانى طلب من صاحب الولاية سيدى على باشا الإســـراع بتـــرحيلها حتـــى يتمكن الحجاج من الوصول إلى الإسكندرية دون تأخير. حيث كان فى استقبالهم الحاج أبى القاسم القراوى صاحب ولاية طرابلس (٤٩).

وبعد نزول الورثيلانى (أبا كديه) قبالة تورغا والتى تقع فى الطريق قبل الدخول إلى برقة فى منطقة السبخة كما قال الورثيلانى نزلنا الزعفران ثم مررنا على (معطن الأحمر) تلاقى الركب مع الركب الفاسى والفيلالى فى هذا الموضع (٥٠).

والطريف فى الأمر جاء ذكر أن الركب الجزائرى الذى حج معه الورثيلانى

كان يضم طلاب علم وهو ما عبر عنه الورثيلانى فى أثناء حديثه عن النزاع الذى قام بين الطلبة حول مسألة فقهية (٥١).

الملاحـظ أن الورثيلانى يعمد إلى وصف الطريق والآبار والمياه والمدن من خلال مشاهداته ثم يورد ما كتبه ابن ناصر، أو العياشى أما إذا كان فى الأمر شيء من أمور الفقة فإنه يرجعه إلى أهل الفقة كما ورد فى الرحلة صفحة ٢٢٦ فى موضوع يغفر الله لأهل عرفة ثم يشير إلى البكرى فى تعريفه لكلمة أو اسم برقة صفحة ٢٢٠ ويشير إلى ما كتبه العياشى (٥٢).

يوضح لنا الورثيلانى فى مقارنة بين ركب الحج الجزائرى والفاسى يقول:- (عدد الأيام من سيدى أحمد زروق على الاحتياط إلى مصر بحسب مشينا الجزائرى لا الفاسى فإنه أسرع فى المشى لتأخره) ثم يعدد المسافات بين الأماكن التى مر عليها من سيدى أحمد زروق إلى زعفران خمسة أيام ومنه إلى النعم يومان ومنه إلى المنعم خمسة أيام أو صحة السادس ومنه إلى أجدابية ثلاثة أيام غير أن الثالث وصلناه عند الظهر ومنه إلى سلوك ... إلخ) (٥٣).

وحينما أشرف الركب على الدخول إلى مصر وصف ما بها وآثارها كذلك أخذ يتعرض الورثيلانى لتراجم علماء مصر. أمثال أبى العباس أحمد بن أحمد ابن سلامة المصرى القليوبى. الشيخ موسى المصرى القليوبى (٥٤).

يصور لنا الورثيلانى خروج الكسوة بين دار الصنعة ويصف ذلك الموكب المصاحب لها، ثم يقتبس من رحلة العياشى ذلك الموكب والاحتفالات التى تحدث فى مثل هذه المناسبة (٥٥).ويبدو أن الوثيلانى تأثر بمنظر كثرة المساجد بمصر وعظمة بنائها والاهتمام بعمرانها وصيانتها وتزينها، عكس ما وجد ببلاد المغرب بصفة عامة حيث يقول: (وأما أهل مغربنا فلا تكاد ترى فى مدائنهم مسجداً عظيماً قد أحدث بل ولا مهدماً قد جدد أو هيأ قد أصلح بل لو سقط شيء من أكبر مساجدهم، فأحسن أحوالهم فيه إن بنياناً برخام أن يعاد بآجر وجص وإن كان مجصصا أن يعاد بطين بحيث تجد المسجد كأنه مرقعة فقير هندى فيه من كل لون رقعة وإلى الله المشتكى).

وكأن الورثيلانى يميل إلى رأى ابن خلدون فى أن المدن والأمصار بأفريقيا والمغرب قليلة، السبب فى ذلك لأن الأقطار كانت للبربر وكان عمرانها كله بدويا ولم تستمر فيهم الحضارة حتى تستكمل أحوالها ... والصنائع بعيدة عن البربر

لأنهم أعرق فى البدو، والصنائع من توابع الحضارة ... إلخ [٥٦].

وحينما دخل الورثيلانى مصر بدأ فى شرح أماكن الزيارة لأضرحة الأئمة والأولياء ابتداءً من الإمام الشافعى، وضريح السيدة نفيسة ... إلخ [٥٧].

ثم تكلم الورثيلانى مرة أخرى عن ظلم الركب الجزائرى للناس وعلى ما فيه من الهرج وقال: (إن شيخ الركب ليس إلا مساعد الناس عليه من ظلم وغيره ... إلخ). فأراد الورثيلانى مع بعض مرافقيه التخلى عن مرافقة ركب الحج الجزائرى، والسفر مع ركب الحج المصرى [٥٨] غير أنه غير رأيه وترك الركب المصرى حينما علم أن سلطان فزان موجود فى مصر فعرض الورثيلانى عليه الأمر فوافق، غير أن الأمر اختلف حين اختلط ركب الجزائر مع ركب سلطان فزان [٥٩]. حينما ارتحلوا إلى البركة، وعلى ما يبدو أن هناك تنظيما للركب الجزائرى حيث اشتمل على أهل الجزائر وقسطنطية ثم أهل بسكرة وأهل مدكال وأهل المسيلة وأهل الصحراء، وأهل الزاب. وكانوا جميعاً مع الشيخ سيدى محمد المسعود ومجموعة أخرى انضم إليها الورثيلانى وهم يتبعون سيدى أحمد الطيب وسيدى أحمد بن حمود وسيدى محمد الشريف وعلى ما يبدو كان هؤلاء فقهاء الركب. ويفيض الورثيلانى كثيراً فى سرد قصة الفوضى التى حدثت فى الركب المصرى بين الشيال والحجاج فيقول الورثيلانى: (غير أن الله منعنى من الإقامة فى مصر لما كان من الهرج والفتنة والنزاع بين الحجاج والشيال لأن من دخل بولاق من الحجاج ربطوه وحبسوه ومن دخل منهم الركب ربطه الحجاج، فوقع هول وعظم وجميع الفضلاء يجرى بين الجميع بالصلح حتى خفنا على أنفسنا من كثرة الظلم الواقع من الجانبين غير أن الحجاج مظلمون بالنسبة للمال إذا أقرضوهم فى الطريق فأكلوهم وأرادوا الزيادة منهم، وأما الحجاج فقد ظلموهم بالضرب فى الطريق والشتم وكل عمل قدروا عليه فانتقم الله من الجميع رزق الله الكل التوبة والندم على ما صدر من الجميع بمنه وكرمه [٦٠].

ويوضح الورثيلانى منهجه فى كتابه فى هذا الموضع حينما يقول بعد زيارته لعلماء مصر وأوليائها ويقول: (وبالجملة فالذى زرناه فى تلك المدة لا يزار إلا فى أيام عديدة ومع ذلك وجدنا حلاوة ما وجدناها فى غيرها من الزيارات، فإنى قد جبلت على حبها من صغرى وقد كثرت منى غرباً وشرقاً وجنوباً وقبلة بمعنى

وجـودها بـين الأحياء والأموات فمهما ذكر لى ولى صالح أو عالم حياً أو ميتاً إلا ذهـبت إليه واقتبست من نوره ولا سيما عمالة الجزائر فإنى قد خضتها (٦١). وبحثت عـن أهلهـا بحـثاً شديداً تاريخاً وسيرةً وطريقة وحالاً وكرامة لما رأينا من وقوع الإهمال فى ذلك فى وطننا فرسمنا كل ذلك رسماً جيداً فحفظت وصف أسلافه ونقلت من كل فرع ريحانه لما يجده المتأخر بعدنا ورحمة لما يحصل له من اقتباس الأنوار فـى وطننا فما تركت من جهدى شيئاً ولا فى استطاعتى أمراً إلا حاولته فى التفتيش عـنهم والاستقصاء بالطلب والفصل فى آثارهم لا سيما أهل بجاية فإنها مدينة عظيمة يكـاد زيتها يضيء من علم أهلها وقوة أحوالهم وأنوار مواجدهم ومن أراد استقصاء أخبارهم فليطالع عنوان الدراية للغبرينى ورياض الصالحين للثعالبى وغيرها ... (٦٢) ويذكر المشايخ الذين تلقى عليهم العلم والذين أجازوه فى مصر (٦٣).

ثم يعود للاقتباس من رحلة الشيخ أحمد بن ناصر عند الحديث عن "عجرود" (٦٤). كـذلك يشـير إلـى اقتـباس من رحلة الشيخ أبى سالم العياشى، بالإضافة إلى ما أورده المقريزى حول مدينة السويس (٦٥).

والملاحـظ فـى أسـلوب الورثيلانى حينما اقتبس من أبى سالم العياشى من رسالة اعتمد عليها العياشى للشيخ البكرى يذكر فيها منازل الحج والزيارة لذا يعمد الورثيلانى إلى ذكر أقوال العياشى فى هذا الموضوع انطلاقاً من ما قبل "عجرود" وبـركة الحـج. ويسهب فى السرد عن اقتباس أبى سالم العياشى من رسالة الشيخ زيـن العابدين البكرى الذى ذكر فيها منازل الحج ودياره ذهاباً وإياباً وحقق قدر ما فـى كـل مرحلة من الساعات والدرج والدقائق وصعوبتها وسهولتها.وهنا يوضح العياشـى أسـلوبه فـى اقتباسه من البكرى بأنه اختصر ذكر المنازل التى أوردها البكـرى حـيث ذكر تلك المراحل التى فيها البنادر لأنها فى الغالب متفقة فإذا جاء ذكـر بـندر من البنادر ذكرت من كلامه ما يتعلق بالمراحل التى قبله ليكون ذلك أسهل لمطالعته وأبقى لرونق كلامه من التقطيع وكثير التوزيع (٦٦).

واسـتمر الورثيلانـى فى وصف وصول الركب إلى بندر عجرود –السبخة مغيـربان– وادى الـرمل حـيث أدركه الركب التونسى الذى خرج من مصر قبل الركب الجزائرى– وادى السدرة والخرّوبة (٦٧).

(ثم ارتحلنا من هناك يوم الأحد رابع ذى القعدة الخامس والعشرين من دجنبر

الـــرابع عشـــر مـــن الليالـــى) -العقبة- أرض التيه- بندر النخيل وأدركوا الركب التونسى هناك والركب المصرى [٦٨].

وعلـــى مـــا يبدو أن الحجاج المغاربة كانوا يقصدون مصر فى ركبهم البرى ســواء كانوا من المغرب الأقصى أو تونس أو الجزائر أو ليبيا أو غيرهم ليسيروا مع ركب الحج المصرى وهذا ما أكده الورثيلانى [٦٩]، كما أن قصائد مغربية قيلت لتؤكد هذا الموضوع حيث يقول الشاعر [٧٠]:

يـــا ركـــب مصر رويدا يلتحق بكم	قـــوم معاربـــة لحـــم علـــى وضم
فـــيهم عبـــيد تشـــوق العين زفرته	لـــم يلـــق مـــولاه قد ناداه فى القسم

يصـــور لنا الورثيلانى مقتبساً من العياشى كيف أن سفر الفلاحين المصريين مـــع الـــركب الجزائـــرى أو الـــركب المغربـــى يسبب إزعاجاً للركب حيث يكثر ضـــجيجهم وخصوماتهم. غير أن الفلاحين نقص عددهم فى الركب الجزائرى فى هذه الرحلة فهدأت الأحوال [٧١].

ثـــم يذكـــر المـــراحل التى مر عليها وادى المنصرف- وادى القباب- وادى التـــية- نخـــل الحصينة- بئر الصعاليك- سطح العقبة ونزولهم للراحة وكان معهم ســـلطان فـــزان، والتحق بهم فى العقبة الركب المصرى وهذه السنة المذكورة كان الركب الجزائرى قوياً يحمل الأسلحة وأعداده كبيرة لذا فقد سبقته سمعته الآفاق ولم يتعـــرض لأى أذى وكان الركب المصرى يخاف من الركب الجزائرى لقوته [٧٢]. لأن أمير الركب المصرى اعتاد فى السابق أن يتحكم فى الركب المغربى ويفعل به ما يشاء إن شاء قدمه وإن شاء أخره، وإن شاء زاد فى الكراء عليه وغير ذلك من الظلم [٧٣]. ويؤكد ذلك الورثيلانى أثناء حديثه عن الركب الجزائرى بعد الحج حين نزل الركب الجزائرى مع الركب المصرى وكان أمير الحاج المصرى حسين باى مملـــوك بـــاى أراد هذا الأمير أن يتخلف الركب المغربى وراء المصرى. قهراً إذ العـــادة السابقة أن الركب المغربى يتخلف فى الطلعة وفى الرجعة يسبق. غير أن هـــذه المـــرة أراد الـــركب المصرى الذى تقوى وكثر فيه الظلم من الجند وضعف الـــركب المغربـــى جعلوه وراءهم ذهاباً وإياباً، فاجتمع رأى جميع الركب الفيلالى والجزائرى والطرابلسى لا سيما أن سلطان فزان هو الذى قدم بنفسه، فاتفق أمرهم على التقدم بل تعاهد الجميع على ذلك، غير أن الركب الفزانى تأخر فى مكة وكذا

الفيلالـــى فلم يسبق إلا الركب الجزائرى غير أنه قوى لو اتفقت كلمته إلا انه وقع فــيه النـــزاع لأن الشيخ سيدى محمد المسعود نجل الشيخ محمد الحاج لين العريكة يتــرك الناس على هواهم فلما حان وقت الظهر وإذا بالناس ارتجلوا خوفاً من سبق المصرى لأن أمير الركب المصرى يبعث الرسل ويقول بالذهاب جميعاً إلى منزل الينــبع لـــذا فقد تحرك الركب الجزائرى ولم يرض إلا بالسبف ولو أدى ذلك إلى الفتنة العظيمة بين المسلمين (٧٤) إلا أن الورثيلانى لحق بالركب الفزانى وسار معه حتى وصلوا جميعاً إلى الينبع، ومنها انطلقوا إلى المدينة المنورة.

ويــورد الورثيلانـــى اقتباســاً مـــن سيدى أحمد بن ناصر الدرعى (٧٥) حول الموضـــوع ويــورد كذلك اقتباسا من الخطط للمقريزى حول مدينة إيلة (٧٦) وفى العقبة زار الورثيلانى قبر الشيخ إبراهيم اللقانى (٧٧). ثم مر الركب الجزائرى على الشـــرفات عـــش الغراب ثم مقابر سيدنا شعيب- وعيون القصب والمويلح (٧٨) ثم وادى الأراك ثم إلى الوجه.

ثـــم العقـــبة الســـوداء وتقع فى حرة سوداء. ويقال أنها أول الحجاز وبعدها الحوراء. حتى وادى العقيق ثم إلى الينبع (٧٩).

ومـــنها إلى بدر ثم إلى رابغ وخليص وعسفان (٨٠) وحينما ينتهى من اقتباساته الســـابقة. وأخـــذ يـــدون مـــا شاهده بعبارة (انعطاف) (٨١) ويستمر فى ذكر المناطق والمراحل التى قربها دون اختلاف عن ما ورد فى اقتباساته السابقة، غير أنه أضاف حينما بلغ الركب الجزائرى إلى ينبع النخل بين الظهر والعصر وجد الركب المصرى نازلاً هناك فنزل الركب الفلالى (المغربى) والجزائرى والركب الفزانى إلى جواره.

وعلى ما يبدو تأثر الورثيلانى من جماعته الجزائريين حينما حصل له غيظ مـــن ظلـــم الحجـــاج بعضـــهم البعض فأقسم بالله ألا يبيت معهم فرحل مع الركب المصـــرى هو وبعض أصحابه، ووصل الركب المصرى إلى بدر (٨٢) قبل الركب الجزائـــرى. وبعد جلوس الركب الجزائرى والمصرى ارتحلوا إلى مستورة ومنها إلـــى رابغ (٨٣) ومنها إلى قديد ثم خليص (٨٤) ثم عسفان ثم وادى فاطمة (٨٥) ثم إلى مكـــة المكـــرمة. تكلم الورثيلانى منذ دخوله مكة المشرقة عن ما يجب على الحاج فعلـــه من طواف الإفاضة (طواف القدوم) والسعى إلى المبيت فى منى يوم التروية والوقوف بعرفات ورمى الجمرات وما إلى ذلك من مشاعر الحج (٨٦).

وفـــى مكـــة ابتدأ الورثيلانى بزيارة قبر السيدة ميمونة زوجة النبى صلى الله عليه وسلم ثم وصل إلى التنعيم وفيه مسجد لعائشة رضى الله عنها [٨٧] ودخل مكة من باب المعلى.

وإذا مـــا عرفنا المراحل المستخدمة فى الطريق فى أيام الورثيلانى أو من قبله من الذين قاموا باستخدام الطريق نفسه أمثال الرحالة السراج (ابن مليح) الذى كان قد ابتدأ رحلته آخر شهر صفر سنة ١٠٤٠هـ قبل حوالى قرن من رحلة الورثيلانى من مراكش ثم رحل إلى أغمات وريله وبلاد وارزازات ودرعة وصحراء أزكر ثم بلاد فـــزان ثـــم واحـــة سيوة ثم استخدم النيل للوصول إلى القاهرة وكان ذلك يوم الجمعة الـــثالث عشـــر مـــن شوال سنة ١٠٤١هــ. وصف القاهرة ومساجدها وما بها من أضـــرحة ووصـــف أهراماتها ووصف خروج الركب منها ابتداء من البركة موضع اجتماع الركبان ثم إلى الدار الحمراء ثم لقصبة عجرود للنزول بالماء ثم لواد الرمل. ثـــم لمنـــزل بعـــل ثم لواد الخروبة ثم لقصبة النخيل ثم لبئر العلاية فى وسط التيه ثم لســـطح العقبة الكبرى وهى التى تسمى عقبة أيلة. ثم لقصبتها وبها ملتقى الركبان من أرض الشـــام وغزة [٨٨] ثم لمورد يعرف بموية المعيز على شاطئ بحر السويس. ثم لأم العظـــام وهى صحراء ثم لمقابر سيدنا شعيب، ثم لمورد يعرف بعيون القصب ثم لقصـــبة المويلح على شاطئ البحر ووصفها بأنها ثغر من الثغور ترسو به القوارب، ثـــم لموضـــع صحراء يعرف بشق العجوز ثم لقصبة الأزلم ثم لبئر عنتر ثم لقصبة الـــوجه ثـــم لموضع صحراء يقال لها بين الدركين ثم لماء الحورة ثم لعقبة السوداء بـــرأس واد، ومنها لماء النبط، ثم لسبع وعرات من جبال رواسى برأس واد النار، ثم للينـــبوع ثـــم لدار الوقدة موضع صحراء سميت بذلك، ثم لبدر، ثم لسبيل السلطان ثم لـــرابغ وهـــى واد وهومـــيقات أهل مصر، والمغاربة علي خلاف فى ذلك وهو قبل الجحفـــة وينبغـــى للحاج إذا اغتسل برابغ أن يؤخر الإحرام إلى الجحفة فيحرم منها فتحصل السنة والمستحب، ثم خليص ثم لعقبة السكر وهى صحراء ثم لبئر عسفان ثم لواد الشريف أو وادى فاطمة ثم إلى مكة المكرمة [٨٩].

وعلـــى مـــا يبدو فإذا اختلفت بداية خروج أفواج الحجيج من بلاد المغرب إلا أنهـــا تلتقـــى فى مصر أو فى الطريق إلى مصر لكى تسير متجاورة ومجتمعة فى بعض الأحيان للوصول إلى الحجاز.

ذكـــر الأماكن الأثرية والتاريخية الإسلامية فى الحجاز كما وردت فى رحلة نزهة الأنظار فى فضل علم التاريخ والأخبار

كانـــت الآثار الإسلامية كالمساجد الأثرية والآبار وغيرها من الأهمية بمكان حـــيث اهتم بذكرها الرحالة المغاربة قبل الورثيلانى وبعده من الرحالة، وكذلك فقد ذكـــرت أســـماء عديدة ومهمة لأماكن كانت قد شهدت حياة الرسول صلى الله عليه وسلم فى مكة المكرمة وفى المدينة المنورة، كذلك ذكرت بعض الأماكن الأثرية فى مديـــنة جـــدة. وحيث أن بعض الآثار الإسلامية العديدة قد اندثرت وأصبحت غير واضـــحة المعالم الآن ولا يعرف مكانها لذا فسأحاول رصدها من خلال النصوص التـــى وردت فـــى الرحلة المذكورة لأهميتها بالآثار والتاريخ والسياحة الإسلامية وللاســـتفادة مـــن هـــذه النصوص للتعرف على المواقع الأثرية والسياحية بعد أن مـــرّعليها وذكـــرها الرحالة المغاربة كالعياشى والحسين الورثيلانى قبل أكثر من مائتـــين وخمـــس وأربعـــين عاماً تقريباً وحيث أن استخلاص النصوص وتحقيقها ونشـــرها لا يقل أهمية عن تحقيق ونشر النصوص المتكاملة، وهكذا فإن الاقتصار علـــى اســـتخلاص النصوص التى تعالج فترة القرن الثانى عشر مثلاً أو موضوعاً كالأمـــاكن المقدســـة فى كل من الحرمين الشريفين ليس نهجاً جديداً، ولكنه أسلوب لجـــأ إلـــيه الكثيرون فى نشر أجزاء محددة نشراً منفصلاً أو ملحقاً بغيره لاستكمال نصـــوص أخرى فى نفس الموضوع لذا سيحتاج الأمر إلى دراسة مفصلة أكثر من هذه العجالة، يقول الورثيلانى:

- ذكر المشاهد التى ينبغى للحاج أن يزورها بمكة شرفها الله:

مـــنها الدار التى ولد فيها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، واختلاف الآراء فـــى مكان ولادة الرسول صلى الله عليه وسلم هل هو بمكة، أو بالأبواء، وعلى أنه بمكـــة فقـــيل فـــى الشعب وقيل فى المحصب (٩٠). ثم البيت الذى سكنه رسول الله صـــلى الله عليه وسلم مع السيدة خديجة رضى الله عنهما وولدت فيه الأولاد وفيه توفيت. ثم دار أبى بكر الصديق رضى الله عنه، ودار الخيزران عند الصفا (٩١).

ومســـجد البـــيعة الذى بويع فيه رسول الله، ومسجد إبراهيم بعرفة وهو غير الـــذى يصـــلى فـــيه الإمام، ومسجد الكبش بمنى الذى نزل فيه فداء إسماعيل عليه الســـلام. ومسجد بأجياد يقال له المتكأ قيل أن النبى صلى الله عليه وسلم اتكأ هناك،

ومسجد العقبة حيث بايع الأنصار، مسجد الجن وهو بأعلى مكة. وشعب أبى طالب الـذى لجأ إليه هو وبنو هاشم. وجبل أبى قبيس، ثم غار جبل ثور الذى اختفى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضى الله عنه [٩٢].

جـبل حراء وفيه الغار الذى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحنث فيه قبل النبوّة وفيه نزل الوحى أول ما نزل، وفيه نزلت سورة اقرأ كما فى الصحيح، وهو جبل متوحد بأعلى بمكة [٩٣].

الجعـرانة، وهـو موضع بين مكة والطائف وهى إلى مكة أقرب بكثير [٩٤].
دار الأرقـم، التـى اختفى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومنها كان إسلام عمـر بـن الخطاب رضى الله عنه وهى الآن مسجد بقرب الصفا [٩٥]. أما المقابر فالحجون كله مزارات وأشهر المزارات فيه قبة أم المؤمنين السيدة خديجة [٩٦].

المـودع (المدعـة) موضـع بسوق مكة يقال أن فيه ودع النبى صلى الله عليه وسـلم أهـل مكـة فى حجة الوداع لما أراد الخروج إلى المدينة، وهومكان مشرّف تظهر منه بعض أستار الكعبة، وليس فى أسواق مكة محل تظهر منه الكعبة إلا هذا.

جـبل أبى قبيس يشرف منه على مكة كلها والمسجد والبيت وفيه مغارة يقال أن بها قبر آدم عليه السلام [٩٧].

كـدى الكاف وهو الموضع الذى خرج منه النبى صلى الله عليه وسلم. وهو باب الشبيكة. وذكر ابن رشيد فى رحلته عن بعض الأئمة أن الخروج إلى عرفات مـن الثنية السفلى أيضاً. فروى عن الحافظ أبى محمد على بن أحمد الأندلسى قال: "كداء الممدودة هى بأعلى مكة عند المحصب حلق رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذى طوى إليها أى صعد إليها.

وكدى بالضم والتنوين بأسفل مكة عند ذى طوى بالقرب من شعب الشائعين [٩٨] والشعب كسر الشين.

عسفان [٩٩].

مستورة [١٠٠].

ينــبع: مســجد العشيرة المعدود من المساجد التى صلى فيها النبى صلى الله عليه وسلم. ذكره السيد السمهودى، وهو مسجد القرية الذى ينزلها الحاج المصرى، ولابن زبالة أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى فى مسجد الينبع بعين بولا (١٠١).

يذكــر الورثيلانــى أن ينــبع هى أول بلاد الحجاز لركب الحجاج القادمين. والقــرية التــى ينزل بها الركب هى آخر القرى من ناحية البحر، وليس بعدها إلا ينــبع البحر الذى هو المرسى، وغالب أهل القرى يأتون إلى هذه القرية التى ينزل بها الحاج للتسوق. ومن ينبع البحر تجلب الميرة للمدينة المشرفة لأن السفن الجالبة للطعــام مــا كان منها للمدينة يرسى بينبع البحر، وما كان منها لمكة يتجاوز إلى جــدة. وإذا وصل الطعام إلى ينبع حمل منها إلى المدينة تحمله أعراب تلك الناحية من بنى سالم وجهينه ويتداركون بالطريق من هناك للمدينة (١٠٢).

بدر: وتقع فى طريق المدينة المنورة بعد الخروج من ينبع، وبها (دار الوقدة) لأنهــم يــوقدون فــيه الشمع الكثير يستصحبه الناس من مصر لذلك ويبيعونه فى الركب ويجعلونه على اقتاب الجمال باليل فترى الركب كله كأنه من أعظم المساجد المسرجة مصابيحها فى أحد المواسم (١٠٣).

- المساجد التى تزار بالمدينة لنسبتها للنبى صلى الله عليه وسلم:

أكبر المساجد وأكثرها أهمية المسجد النبوى، لحديث أنس بن مالك رضى الله عــنه" من صلى فى مسجدى أربعين صلاة لا تفوته صلاة كتب له براءة من النار وبــراءة من العذاب وبرئ من النفاق" (١٠٤). ثم مسجد قباء، ومسجد الضرار التى فــيها بئــر أريس، مسجد الفضيخ. مسجد بنى قريظة قرب الحرة الشرقية. مسجد مشــربة أم إبراهيم نسبة لابن مارية، ولدت سيدنا إبراهيم بن النبى صلى الله عليه وســلم فيها، وفيها مسجد بنى ظفر من الأوس شرق البقيع بطرف الحرة الشرقية، يعرف باسم مسجد البغلة (فى زمن الورثيلانى) (١٠٥).

مســجد الإجابــة، وهو لبنى معاوية بن مالك من الأوس وهو شمالى البقيع، مســجد الفــتح والمساجد التى فى قبلته وتعرف كلها فى زمن الورثيلانى بمساجد الفتح، ويقال له أيضاً مسجد الأحزاب والمسجد الأعلى (١٠٦).

مسـجد القبلتـين وهو (غرب بطحان وسلع قريب من العقيق)، مسجد السقيا (بالحـرة الغـربية، ويقـع علـى يسار الذاهب إلى المدينة من العقيق على طريق الحـاج). مسـجد الراية (بالقرب من جبل ذباب) قريب من سلع شرقية قريب من ثنية الوداع، على يسار الداخل إلى المدينة من طريق الشام [١٠٧].

ومـن المشاهد التى زرناها بالمدينة المنورة مقبرة المدينة، فمقبرة المدينة لا مقبـرة على وجه الأرض أشرف منها بالإجماع وقد روى عن الإمام مالك رضى الله عنه أنه قال: دفن بالمدينة أكثر من عشرة آلاف من الصحابة، وبها شهداء أحد ولـيس فى غزواته صلى الله عليه وسلم أكثر من هذه الغزوة شهداء، وبها شهداء الخندق، وبها شهداء الحرة [١٠٨].

وفـى البقـيع دفنت صفية بنت عبد المطلب عمة النبى صلى الله عليه وسلم وزيـن العابـدين، ومحمد الباقر وجعفر الصادق وكثير من أهل البيت أمثال السيد إسـماعيل، والعـباس، والحسـين بن على والسيدة فاطمة الزهراء وعقيل ابن أبى طالب وكل أمهات المؤمنين ماعدا السيدة خديجة وميمونة. وسيدنا إبراهيم ابن النبى صـلى الله علـيه وسلم، وقبر عثمان بن مظعون وسعد بن أبى وقاص رضى الله عنه، وعبد الله بن مسعود رضى الله عنه وأبى سعيد الخدرى رضى الله عنه [١٠٩].

ومـن المشاهد التى تزار بالمدينة، ليست فى البقيع، ثلاث أحدهما مشهد مالك بـن سـنان والـد أبى سعيد الخدرى وهو من شهداء أحد رضى الله عنهم ومشهده غـرب المديـنة، ومشـهد ذى النفس الزكية وهو محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسـن بن على ين أبى طالب رضى الله تعالى عنهم أجمعين. وثالثهما مشهد سيد الشـهداء حمـزة بـن عبد المطلب رضى الله عنه وهو بأحد. وكانت هذه المشاهد معروفة بالمدينة زمن الورثيلانى [١١٠].

كان الورثيلانى يميل إلى آل البيت ولا يميل إلى الروافض الذى قابل بعضهم فـى المديـنة المـنورة عـند مقبرة البقيع، وإنما يعتقد بأفضلية آل البيت وقد كتب الورثيلانى حينما رأى مجموعات كبيرة من الشيعة تلتصق بجدار البقيع فى المدينة المـنورة أثناء زيارتهم فى القصة التى رواها عن القباب الموجودة فى البقيع زمن زيارته للمدينة المنورة [١١١].

- جبل أحد وما به أو بطريقه من المساجد النبوية:

زيارة أحد والشهداء به من السنن المأثورة ففى صحيح البخارى أن النبى صلى الله عليه وسلم، صلى على قتلى أحد بعد ثمان سنين كالمودع للأحياء والأموات، وفى حـديث أبى داود خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نريد قبور الشهداء حتى إذا أشـرفنا على حرة راقم فلما تدلينا منها فإذا قبور فقلنا: يا رسول الله أقبور إخواننا هذه، قال قبور أصحابنا، فلما جئنا قبور الشهداء قال هذه قبور إخواننا (١١٢).

وفضل جبل أحد على الجملة معلوم مشهود فقد قال عليه الصلاة والسلام "إنه يحبنا ونحبه" وكان يأتيه، وقال أنه على باب من أبواب الجنة فترابه يستشفى به.

ويسمى أحد أحداً لتوحده وانقطاعه عن جبال أخرى هنالك. قال السيد: وتربة صـهيب أولـى بذلك وللطبرانى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لأحد هذا جـبل يحبـنا ونحبه، على باب من أبواب الجنة، وهذا غير جبل يبغضنا ونبغضه علـى باب من أبواب النار وغير جبل كبير على يسار ذى الحليفة وأنت خارج من المدينة، وهو يقابل أحداً إلى ناحية مكة من المدينة وأحد إلى ناحية الشام (١١٣).

- ذكر الآبار التى فى المدينة:

١-بئر أريس:

وقد صح أن النبى صلى عليه وسلم تفل فيها وتقع هذه البئر فى حديقة غربى مسجد قباء قريباً منها وماؤها غزير (١١٤).

٢- بئر البُصة:

بضم الباء وتخفيف الصاد المهملة كما الدائر على ألسنة أهل البلد. روى عن أبـى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتى الشهداء وأبناءهم ويتعاهد عيالهم قال فجاءنى يوماً وقال هل عندك من سدر أغسل بـه رأسـى فإن اليوم الجمعة قلت نعم فأخرجت له سدراً وخرجت معه إلى البصة فغسل رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه وصب غسالة رأسه ومراقة شعره فى البصـة، وهـذه البئر قريبة من البقيع على طريق قباء فى حديقة نخل على طرف بطحان وماؤها أخضر وهناك بئر أخرى صغيرة (١١٥).

٣- بئر بضاعة:

بضـــم الموحدة على المشهور. تقع غربى بئر حا إلى جهة الشمال قال المجد فـــى الخبر صلى الله عليه وسلم أتى بئر بضاعة فتوضأ من الدلو وردها إلى البئر وبصـــق فـــيها، وكان إذا مرض المريض فى أيامه يقول أغسلونى فى بئر بضاعة فيغســـل فكأنمـــا نشط من عقال. وقالت أسماء بنت أبى بكر لنا نغسل المرضى من بئـــر بضاعة ثلاثة أيّام فيعافون. وهى حديقة كبيرة ذات نخل أقرب أبواب المدينة إليها باب الشامى عن يمين الخارج منه قليلاً وحولها مسجد وبركة ماء (١١٦).

٤- بئر حا:

بفـــتح المـــوحدة وكســـرها وبفتح الراء وضمها وبالمد فيهما وبفتحهما والقصر فيعلـــى، مـــن البراح وهى الأرض المنكشفة، وقيل بئر أضيف إلى حاء من حروف الهجـــاء وهـــم اسم رجل أو امرأة أو مكان وخبرها فى الصحيح وأنها كانت مستقبلة المســـجد وكـــان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب وهى اليوم حديقة صغيرة (فى زمن الورثيلانى) قريبة من سور المدينة شمالية بينهما الطريق وأقرب أبواب المدينة إليها باب البقيع وهى بينه وبين الباب الشامى (١١٧).

٥- بئر رومة:

بضـــم الـــراء وبالهمزة دونه وفى الحديث نعم القليب قليب المزنى فاشتراها عثمان فتصدق بها وورد أيضاً نعم الحفيرة حفيرة المزنى يعنى رومة، وعنه صلى الله عليه وسلم من يشترى رومة فله مثلها فى الجنة فكان الناس لا يشربون منها إلا بثمن، فاشتراها عثمان فجعلها لله وكانت لرجل من غفار أو مزينة أو ليهودى اسمه رومـــة فنسبت إليه وهى بئر جاهلية روى أنه استقى منها لتّبع لما نزل بقناة وهى بأســـفل العقـــيق قـــرب مجتمع الأسيال وهى بعيدة من المدينة وإلى الجوف أقرب والطـــريق إلـــيها على مساجد الفتح ثم يعدل يساراً إلى ناحية مسجد القبلتين ثم يمر تحته أسفل منه قاصداً العقيق، فهى هناك وبقربها مزارع (١١٨).

٦- بئر اليسيرة:

مـــن اليسر ضد العسر وتعرف فى زمن الورثيلانى ببئر العهن بكسر فسكون، وهو لغة الصوف الملون وهى معروفة بالعوالى مليحة جداً منقورة فى الجبل وعندها

سدرة، فقد روى أن النبى صلى الله عليه وسلم جاء ببنى أمية بن زيد فوقف على بئر لهم ما اسمها فقالوا عسيرة فقال لا اسمها اليسيرة وبصق فيها وبرّك فيها (١١٩).

٧- بئر غرس:

بضم فسكون وقال المجد بفتح فسكون وضبطه بعضهم بالتحريك كشجر، وهى بئر شرقى قباء على نصف ميل من مسجدها إلى جهة الشمال، وقد ورد أن رباحاً غلاماً للنبى صلى الله عليه وسلم كان يستقى من بئر غرس مرة ومن بئر السقيا مرة (١٢٠).

٨- بئر السقيا، وبئر زمزم:

ورد أنه عليه الصلاة والسلام كان يستعذب له الماء من بئر السقيا والسقيا تقع فى آخر منزلة النقا على يسار السالك إلى الحج أيام بئر على وهى بالحرة الغربية وحولها بركة عظيمة لورود الحاج أيام نزولهم هنالك والثانية بئر زمزم وهى قريبة من السقيا على يمين الطريق حتى زعم بعضهم أنها بئر السقيا وهى بئر مليحة فى حديقة نخل حولها بركة وبناء وسميت زمزم تشبيها لها بزمزم فى التّبرك بها (١٢١).

- جدة:

بها من المشاهد كالمحل الذى يقال أن فيه قبر أمنا حواء وممن جزم أن قبرها بها ابن خلكان فى ترجمة ابن قلانس الشاعر وهى مدينة كبيرة ممتدة على ساحل البحر نحو ميلين فى كلا طرفيها حصار متقن البناء فيه مدافع كثيرة وعسكره لا يفارقه. ومن اقتباس للشيخ أبى سالم العياشى يقول الورثيلانى: مسجدها الكبير من أجل المساجد منه أعمدة من الساج مخروطة على هيئة أعمدة الرخام المخروط صليب عودها يحسبها من لم يتأملها رخاماً أحمر. كما يقال أن أعمدة ذلك المسجد جلبت فى صدر الإسلام من كنيسة بأرض الحبشة عندما فتحها المسلمون (١٢٢).

- الطائف:

بلدة الطائف فإن فيها مزارات كثيرة ويمر إليها على طريق الحاج إلى منى ثم إلى مزدلفة ثم إلى بسيط عرفة وإلى الطريق من مكة إلى الطائف فيها قهاوى يستريح فيها المارة بالنزول فيها، ويسلك مع طريق الساقية التى من أصل الجبل إلى عرفات ثم إلى المشاعر ثم إلى مكة ومنها تأتى المياه إلى مكة (١٢٣).

ومـــن الأمـــاكن التى تزار ببلاد الطائف البلد نفسه فقد وردت آثار تدل على فضـــله وأنـــه منقول من الأرض المقدسة نقله جبريل عليه السلام بإذن الله تعالى، وورد فـــى الحـــديث أن النبى صلى الله عليه وسلم حرم عضاة وجّ وهو الطائف، وهـــو عـــند الشافعية كحرم مكة لا يقطع شجره وكفاه هذا، هذه فضيلة شارك بها الحرمين الشريفين.

وفـــيها قبـــر تـــرجمان القرآن حبر الأمة سيدنا عبد الله بن عباس رضى الله عـــنهما وهـــو فى قبلة المسجد الأعظم من يمناه وعليه بناء فخم وحوله على يسار الـــداخل من الباب قبر البطل الهمام والليث المقدام فارس بن أبى طالب رضى الله عـــنه وفضائله مشهورة وسبب انحيازه هو وابن عمه عبد الله بن عباس رضى الله عنهما إلى الطائف مذكور فى التواريخ. وبإزاء قبر ابن عباس يقال أنه قبر عبد الله الطـــيب الطاهـــر ولد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والناس يتبركون به (١٢٤). ومنها المسجد الأعظم نفسه.

- ذكر بعض أودية المدينة:

وادى العقـــيق: من المواضع المباركة التى ينبغى زيارتها، ففى الصحيح عن ابن عمر رضى الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بوادى العقـــيق أتانـــى الليلة آت فقال صل فى هذا الوادى المبارك، وزوى مرفوعاً العقيق واد مبارك (١٢٥).

وادى بطحـــان: وهو الوادى المتوسط بيوت المدينة، ودور الأنصار غالبيتها على حافتيه شرقاً وغرباً.

وادى قـــناة: وهوأعظم أودية المدينة سيلاً، فإن سيله يأتى من الأماكن البعيدة، يـــروى أن تبع نزله فلما شخص منه قال هذه قناة الأرض فسمى به، ويسمى أيضاً بالشظاة. وفى القاموس أن عند المدينة سمى قناة ومن أعلى منها عند سد نار الحرة يسمى بالشظاة (١٢٦).

وادى رانوناء لعاشوراء.

وادى مذينب مصغر مذنب.

وادى مهزور بفتح فسكون آخره راء. وهذه الأودية ترجع إلى بطحان (١٢٧).

سكن القبائل العربية: العرب فى بلاد الحجاز من عسفان إلى ينبع بلاد حرب. ومن الينبع إلى الأكرة بلاد جهينة.

ومـــن الأكرة إلى ظبة بالظاء المشالة والباء الموحدة والهاء. واد دون المويلح بلاد بلى.

ومـــن بلـــى إلى مصر بلاد الحويطات (١٢٨) ذكر العملة فى الحجاز فى زمن الحجاز فى زمن الرحلة:

ذكر قيمة الجمل الذى اشتراه فى المدينة المنورة بخمسة عشر ريالاً أبا طاقة (١٢٩).

الهــوامــش:

١- القابســي نجاح صلاح الدين، رحلة ابن رشيد السبتى الفهرى، رسالة دكتوراه غير منشورة، قدمت إلى كلية الآداب جامعة عين شمس بمصر سنة ١٩٧٥م ص٢٠٨.

٢- العياشى، أبى سالم، الرحلة العياشية (مائدة الموائد) مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر الرباط، طبعة ١٩٧٧م.

٣- أمحــزون، محمد، المدينة المنورة فى رحلة العياشى، دار الأرقم للنشر والتوزيع الكويت سنة ١٩٨٨م ص٧٦،٧٧.

٤- القادرى، محمد بن الطيب، التقاط الدرر ومستفاد المواعظ والعبر من أخبار وأعيان المائة الحادية والثانية عشر، تحقيق هاشم العلوى القاسمى، دار الآفاق الجديدة بيروت ١٩٨١م ص١٩٨.

٥- المرجع نفسه ص١٩٩.

٦- ولــد الحسين بن محمد السعيد الورثيلانى (نسبة إلى بنى ورثيلان بالجزائر) فى الجزائر سنة ١١٢٥هـ وتوفــى بهــا ايضاً سنة ١١٩٣هــ، وهو من أسرة مرابطين (أهل الطرق) تدعى الشرف وقد تثقف فى وطنه ثقافة عصره، واختلف إلى الزوايا الموجودة بمنطقته، وكان يكثر مــن- الزيارات وأخذ طريق القوم إلى أن أصبح هو مرابطاً (شيخ طريقه الشاذلية) وأصبح الناس ينظرون إليه نظرة احترام وإجلال حسب مفاهيم ذلك الوقت.

٧- الورثيلانى الحسين، نزهة الأنظار فى فضل علم التاريخ والأخبار، تحقيق ونشر محمد بن أبى شنب طبع الجزائر ١٩٠٨م ص٣٤٠.

٨- المرجع نفسه ص١٩٩.

٩- أمحزون، المرجع السابق ص٧٧.

١٠- أبــو القاســم ســعد الله- مصـــادر تاريخ الجزيرة العربية، الرحلة الجزائرية خلال العهد العثمانى، الرياض ح٢ ص٣٣٨.

١١- المرجع نفسه ص٣٣٩.

١٢- الجــرارى، عباس، مدخل لرحلة الحضيكى الحجازية. مصادر تاريخ الجزيرة العربية ح٢ مطابع جامعة الرياض سنة ١٣٩٩هــ/١٩٧٩م ح٢ ص٢٧٣ وما بعدها.

١٣- الســـراج، أبى عبد الله محمد بن أحمد القيسى (ابن مليح) "أنس السارى والسارب من أقطار المغـــارب إلـــى منتهـــى الآمال والمآرب سيد الأعاجم الأعارب" تحقيق محمد الفاس، فاس ١٩٦٨م ص١٠١.

١٤- المنونـــى، محمـــد، الجزيرة العربية فى الجغرافيات والرحلات المغربية وما إليها، مصادر تاريخ الجزيرة العربية، مطابع جامعة الرياض ح٢ ص٣٠١.

١٥- الرشيدى، أحمد: حسن الصفا والابتهاج بذكر من ولى إمارة الحاج بتحقيق ليلى عبد اللطيف أحمد، مكتبة الخانجي بمصر سنة ١٩٨٠م ص٤٨.

١٦- بـــتس جوزيـــف (الحـــاج يوسف) رحلة جوزيف بتس إلى مصر ومكة المكرمة والمدينة المنورة، ترجمة د/ عبد الرحمن عبد الله الشيخ، الهيئة العامة للكتاب مصر، ١٩٩٥م ص٢٣

١٧- بتس جوزيف، المرجع نفسه ص٢٣.

١٨- الرشيدى، أحمد، المرجع السابق ص٤٨.

١٩- المنونى، محمد- المرجع السابق- ص٢٩٩.

٢٠- المنونى، محمد- المرجع السابق ص٣٠٠.

٢١- المنونى، محمد- المرجع السابق ص٣١٣.

٢٢- المنونى، محمد- المرجع السابق ص٣٠٠.

٢٣- المنونى، محمد- المرجع السابق ص٣١٥.

٢٤- عـــبد العزيز بن عبد الله، الرحلات الحجازية كشف لأمجاد الجزيرة العربية/ مصادر تاريخ الجزيرة، مطابع جامعة الرياض ح٢ ص٣١٥.

٢٥- عبد العزيز بن عبد الله- المرجع السابق- ص٣٥٦.

٢٦- ابو القاسم سعد الله- أبحاث وآراء فى تاريخ الجزائر- القسم الأول- الشركة الوطنية للنشر والتوزيع- الجزائر ط٢ ١٩٨١م ص١٧٨.

٢٧- القاسمى، هاشم العلوى، المرجع السابق ص٢٠٤.

٢٨- الورثيلانى، المرجع السابق ص٤٢٠-٤٢٢.

٢٩- أبو القاسم سعد الله- المرجع السابق ص١٨٩.

٣٠- الورثيلانى- المرجع السابق ص٥.

٣١- الورثيلانى- المرجع السابق ص٧.

٣٢- الورثيلانى- المرجع السابق ص٢١.

٣٣- الورثيلانى- المرجع السابق ص٢٤.

٣٤- الورثيلانى- المرجع السابق ص٢٧.

٣٥- الورثيلانى- المرجع السابق ص٣.

٣٦- الورثيلانى- المرجع السابق ص٨٨.

٣٧- الورثيلانى- المرجع السابق ص٤٩.

٣٨- محمد الجاسر، أشهر رحلات الحج، ملخص رحلتى أبى عبد السلام الدرعى المغربى، دار الرفاعى للنشر، الرياض أغسطس ١٩٨٢م ص٣٥-٣٦-٤١.

٣٩- أمحزون محمد، المرجع السابق ص٤٧-٤٩.

٤٠- الورثيلانى- المرجع السابق ص٨٨-١١٢.

٤١- الورثيلانى- المرجع السابق ص١١٩-١٢٣.

٤٢- الورثيلانى- المرجع السابق ص١٢٢.

٤٣- الورثيلانى- المرجع السابق ص١٤٥-١٦٩.

٤٤- المنونى، محمد، ركب الحاج المغربى- معهد مولاى الحسن تطوان- مطبعة المخزن سنة ١٩٥٣م ص٧-٨.

٤٥- الورثيلانى، المرجع السابق ص٣٢٧.

٤٦- الورثيلانى- المرجع السابق ص١٥٠-١٥١.

٤٧- الورثيلانى- المرجع السابق ص١٦٠.

٤٨- الورثيلانى- المرجع السابق ص١٨٨-١٨٩.

٤٩- الورثيلانى- المرجع السابق ص١٦٩.

٥٠- الورثيلانى- المرجع السابق ص٢١٦.

٥١- الورثيلانى- المرجع السابق ص٢٢٩.

٥٢- الورثيلانى- المرجع السابق ص٢٢١.

٥٣- الورثيلانى- المرجع السابق ص٢٤٢.

٥٤- الورثيلانى- المرجع السابق ص٢٥٤.

٥٥- الورثيلانى- المرجع السابق ص٢٦٣.

٥٦- ابن خلدون، عبد الرحمن- مقدمة ابن خلدون (كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر) دار الكتب العلمية بيروت ٢٠٠٠م.

٥٧- الورثيلانى- المرجع السابق ص٢٨١.

٥٨- الورثيلانى- المرجع السابق ص٢٨٢.

٥٩- الورثيلانى- المرجع السابق ص٢٨٣.

٦٠- الورثيلانى- المرجع السابق ص٢٨٥و٣١٧.

٦١- الورثيلانى- المرجع السابق ص٢٨٩.

٦٢- الورثيلانى- المرجع السابق ص٢٩٠.

٦٣- الورثيلانى- المرجع السابق ص٢٩٤/٢٩٦/٢٩٧.

٦٤- الورثيلانى- المرجع السابق ص٣١٨.

٦٥- الورثيلانى- المرجع السابق ص٣١٩.

٦٦- الورثيلانى- المرجع السابق ص٣٢٢.

٦٧- الورثيلانى- المرجع السابق ص٣٢٤-٣٢٥.

٦٨- الورثيلانى- المرجع السابق ص٣٢٥-٣٢٦.

٦٩- الورثيلانى- المرجع السابق ص٣٢٦.

٧٠- المنونى محمد، ركب الحاج المغربى. تطوان مطبعة المخزن ١٩٥٣م ص٤٦.

٧١- الورثيلانى- المرجع السابق ص٣٢٧.

٧٢- الورثيلانى- المرجع السابق ص٣٣٢.

٧٣- الورثيلانى- المرجع السابق ص٣٣٣.

٧٤- الورثيلانى- المرجع السابق ص٤٤٨.

٧٥- الورثيلانى- المرجع السابق ص٤٤٧/٣٣٤.

٧٦- الورثيلانى- المرجع السابق ص٣٣٥.

٧٧- الورثيلانى- المرجع السابق ص٣٣٨.

٧٨- الورثيلانى- المرجع السابق ص٢٤٢.

٧٩- الورثيلانى- المرجع السابق ص٣٤٦-٣٥١.

٨٠- الورثيلانى- المرجع السابق ص٣٦١.

٨١- الورثيلانى- المرجع السابق ص٣٦٦.

٨٢- الورثيلانى- المرجع السابق ص٣٧٥.

٨٣- الورثيلانى- المرجع السابق ص٣٧٧.

٨٤- الورثيلانى- المرجع السابق ص٣٨١.

٨٥- الورثيلانى- المرجع السابق ص٣٨٣.

٨٦- الورثيلانى- المرجع السابق ص٣٨٥-٤٠٤.

٨٧- الورثيلانى- المرجع السابق ص٣٨٤.

٨٨- القيسى المرجع السابق ص٦٩.

٨٩- القيسى، المرجع السابق ص٧٦.

٩٠- الورثيلانى، المرجع السابق ص٤٠٤.

٩١- الورثيلانى، المرجع السابق ص٤٠٥.

٩٢- الورثيلانى ، المرجع السابق ص٤٠٦-٤٣٥.

٩٣- الورثيلانى، المرجع السابق ص٤٠٧.

٩٤- الورثيلانى، المرجع السابق ص٤٠٩.

٩٥- الورثيلانى، المرجع السابق صض٤٣٥.

٩٦- الورثيلانى، المرجع السابق ص٤٣٦ وهنا يظهر الورثيلانى اهتماماته بزيارة الأضرحة والقبور مثلما فعل فى زيارته لقبور الأولياء والصالحين فى كل مكان مر عليه فى طريقه من الجزائر إلى مكة المكرمة، وآخرها مشهد العيدروس بمكة.

٩٧- الورثيلانى، المرجع السابق ص٤٣٥.

٩٨- الورثيلانى، المرجع السابق ص٤٤٥-٤٤٦.

٩٩- الورثيلانى، المرجع السابق ص٤٤٩.

١٠٠- الورثيلانى ، المرجع السابق ص٤٥١.

١٠١- الورثيلانى، المرجع السابق ص٣٤٩.

١٠٢- الورثيلانى، المرجع السابق نفس الصفحة.

١٠٣- الورثيلانى، المرجع السابق ص٣٥٢.

١٠٤- الورثيلانى، المرجع السابق ص٤٦٦.

١٠٥- الورثيلانى، المرجع السابق ص٤٦٩-٤٧٠.

١٠٦- الورثيلانى، المرجع السابق ص٤٧٥.

انظر كذلك محمد بن أحمد المطرى المتوفى ٧٤١هـ كتابه: التعريف بما آنست الهجرة من معالم دار الهجرة، تحقيق عبد الله اللهيب، رسالة مقدمة للحصول على درجة الماجستير إلى كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة الملك عبد العزيز بجدة سنة ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م، غير منشورة ص (٢٣٦-٢٦١).

حـــيث اســـتفاد الورثيلانـــى من كتاب السمهودى الذى كان يشير إليه بالسيد السمهودى فى اقتباساته الموجودة فى المذكورة، انظر ص٣٥٣ وما بعدها.

١٠٧- الورثيلانى، المرجع السابق ص٤٧٦.

١٠٨- الورثيلانى، المرجع السابق ص٤٥٩.

١٠٩- الورثيلانى، المرجع السابق ص٤٦٠.

١١٠- الورثيلانى، المرجع السابق ص٤٦٦.

١١١- الورثيلانى، المرجع السابق ص٤٦٣.

١١٢- الورثيلانى، المرجع السابق ص٤٧٧.

١١٣- الورثيلانى، المرجع السابق ص٤٨٤.

١١٤- الورثيلانى، المرجع السابق ص٤٩٠-٤٩١.

١١٥- الورثيلانى، المرجع السابق ص٤٩٤.

١١٦- الورثيلانى، المرجع السابق ص ٤٩٤-٤٩٥.

١١٧- الورثيلانى، المرجع السابق ص٤٩٥.

١١٨- الورثيلانى، المرجع السابق ص٤٩٥.

١١٩- الورثيلانى، المرجع السابق ص٤٩٦.

١٢٠- الورثيلانى، المرجع السابق ص٤٩٦.

١٢١- الورثيلانى، المرجع السابق ص٤٩٧.

١٢٢- الورثيلانى، المرجع السابق ص٤٣٨/٤٣٩.

١٢٣- الورثيلانى، المرجع السابق ص٤٤٠.

١٢٤- الورثيلانى، المرجع السابق ص٤٤٢.

١٢٥- الورثيلانى، المرجع السابق ص٥٢٣.

١٢٦- الورثيلانى، المرجع السابق ص٥٢٦.

١٢٧- الورثيلانى، المرجع السابق ص٥٢٧.

١٢٨- الورثيلانى، المرجع السابق ص٥٤٥.

١٢٩- الورثيلانى، المرجع السابق ص٥٤٨.

كان الريال أبا طاقة من النقود التى كانت تستعمل فى العهد العثمانى فى الحجاز وبلغ سعره فى سنة ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م ٢٨ إلى ٢٨,٥ قرشا.

انظر ضيف الله الزهرانى، عادل محمد نور عياش، تاريخ مكة المكرمة التجارى منشورات الغرفة التجارية الصناعية بمكة. الطبعة الأولى ١٤١٨هـ/١٩٨٨م ص١٠٤.

قائمة المصادر والمراجع

* ابن خلدون: عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون (كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر) دار الكتب العلمية ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

* ابــن ظهيــرة: جمــال الدين محمد جار الله بن محمد نور الدين بن أبى بكر بن على (الجامع اللطيف فى فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف). القاهرة ١٩٢٧م.

* ابــن عبد الله: عبد العزيز، الرحلات الحجازية كشف لأمجاد الجزيرة العربية . مطابع جامعة الرياض، جزءان ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

* ابــن فرج: عبد القادر (ت١٠١٠هـ) السلاح والعدة فى تاريخ بندر جدة، الطبعة الأولى تحقيق محمد عيسى صالحية، الكويت، دار إحياء التراث العربى، ١٩٨٣م.

* ابــن فهد: المالكى، إتحاف الورى فى أخبار أم القرى، تحقيق د/ فهيم شلتوت، طبعة جامعة أم القرى مركز تحقيق التراث مكة المكرمة.

*الأرزقى: ابن الوليد محمد بن عبد الله، أخبار مكة وما جاء فيها من آثار، الطبعة الرابعة تحقيق رشدى ملحس مكة، مطابع دار الثقافة ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

* أمحــزون: محمد، المدينة المنورة فى رحلة العياشى، دار الأرقم للنشر والتوزيع الكويت، سنة ١٩٨٨م.

* بتس: جوزيف (الحاج يوسف) رحلة جوزيف بتس إلى مصر ومكة المكرمة والمدينة المنورة، ترجمة د/ عبد الرحمن عبد الله آل شيخ الهيئة العامة للكتاب، مصر ١٩٩٥م.

* البكــرى: أبــو عبــيد عــبد الله بــن عبد العزيز (ت٤٨٧هـ) جزيرة العرب من كتاب المسالك والممالك، تحقيق عبد الله يوسف، الطبعة الأولى الكويت منشورات ذات السلاسل ١٩٧٧م.

* الجاســر: حمــد، أشهر رحلات الحج، ملخص رحلتى ابن عبد السلام الدرعى، الطبعة الثانية، الرياض منشورات دار الرفاعى ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

* الجــرارى: عباس، مدخل لرحلة الحضيكى الحجازية، مصادر تاريخ الجزيرة العربية، جزءان مطابع جامعة الرياض ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

* الرشـــيدى: أحمد، حسن الصفا والابتهاج بذكر من ولى أمر الحجاج، تحقيق ليلى عبد اللطيف أحمد، مكتبة الخانجى مصر سنة ١٩٨٠م.

* الزهرانى: ضيف الله، عادل محمد نور غباشى، تاريخ مكة المكرمة التجارى. منشورات الغرفة التجارية الصناعية بمكة المكرمة الطبعة الأولى ١٤١٨هـ/١٩٩٨م .

* السباعى: أحمد تاريخ مكة، الطبعة الرابعة مكة المكرمة نادى مكة الثقافى ١٩٧٩م.

* السخاوى: الحافظ شمس الدين محمد (ت٩٠٢)

الــتحفة اللطــيفة فى تاريخ المدينة المنورة الشريفة تحقيق محمد حامد الفقى دار الثقافة للطباعة والنشر القاهرة ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م.

* الســراج: أبـــى عـــبد الله محمد بن أحمد القيسى (ابن مليح) أنس السارى والسارب من أقطار المغـــارب إلى منتهى الآمال والمآرب سيد الأعاجم والأعارب، تحقيق محمد الفارسى، فاس ١٩٦٨م.

* ســعد الله: أبـــو القاسم، أبحاث وآراء فى تاريخ الجزائر، القسم الأول، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر الطبعة الثانية ١٩٨١م.

- الـــرحلة الجزائــرية الحجازية خلال العهد العثمانى، مصادر تاريخ الجزيرة العربية جامعة الرياض، جزءان سنة ١٣٩٩هـ/١٩٣٩.

* العباســى: أحمـــد بن عبد الحميد المتوفى فى القرن العاشر، عمدة الأخيار فى مدينة المختار، تصحيح محمد الطيب الأنصارى، القاهرة نشر أسعد طرابزونى الحسنى د.ت.

* العبدرى: محمد، الرحلة (حج سنة ٦٨٩هـ) تحقيق أحمد بن جدو طبعة الجزائر د.ت.

* العياشى، أبى سالم (ت١٠٩٠هـ) الرحلة العياشية، مائدة الموائد مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

* الفاســـى: تقـــى الدين محمد بن أحمد الحسنى المكى (ت٨٣٢هـ)، العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين، تحقيق فؤاد سيد وآخرون، ثمانية أجزاء، القاهرة ١٣٧٨-١٣٨٨هـ. - شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، القاهرة مكتبة النهضة ١٩٥٦م.

* القابســـى، نجاح صلاح الدين، رحلة ابن رشيد السبتى الفهرسى، رسالة دكتوراه غير منشورة قدمت إلى كلية الأداب، جامعة عين شمس ١٩٧٥م.

* القـــادرى: محمـــد بـــن الطيب، التقاط الدرر ومستفاد المواعظ والعبر من أخبار وأعيان المائة الحادية والثانية عشر، تحقيق هاشم العلوى القاسمى، دار الآفاق الجديدة بيروت ١٩٨١م.

* المقريزى: تقى الدين (٨٤٥هـ)

- الـــذهب المســـبوك فى ذكر من حج من الخلفاء والمملوك، تحقيق جمال الشيال، القاهرة مكتبة الخانجى ١٩٥٥م.

- السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق سعيد عاشور القاهرة، دار الكتب المصرية ١٩٧٢م.

- السلوك، الجزء الأول تحقيق مصطفى زيادة، القاهرة مطبعة لجنة التأليف والنشر ١٩٥٦م.

* المنونى: محمد، ركب الحج المغربى، معهد مولاى الحسن، تطوان مطبعة المخزن سنة ١٩٥٣م.

- الجزيـــرة العـــربية فـــى الجغرافيات والرحلات المغربية وما إليها، مصادر تاريخ الجزيرة العربية، مطابع جامعة الرياض، جزءان ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

* النهروالى: المكى قطب الدين محمد بن أحمد (ت٩٩٠هـ) الإعلام بأعلام بيت الله الحرام، علق عليه محمد طاهر كردى، مكة المكرمة المكتبة العلمية ١٣٧٠هـ.